البَصْرَة

تاريخُها - عشائِرُها - حكّامُها - علماؤها



الدار العربية للموسوعات



البصرة

تاريخها - عشائرها - حكامها - علماؤها

البصرة

تاريخها - عشائرها - حكامها - علماؤها

تأليف

ميرزا حسن خان

القنصل الإيراني في البصرة سابقاً

ترجمة

د. خالد محمد عمر

الدار العربية للموسوعات

الطبعة الأولى

٢٠١١م - ١٤٣٢هـ

ISBN 978-9953-563-12-1

الدار العربية للموسوعات

الحازمية - مفرق جسر الباشا - سنتر عكاوي - ط1 - بيروت - لبنان

ص.ب: 511 الحازمية - هاتف: 952594 5 00961 - فاكس: 459982 5 00961

هاتف نقال: 388363 3 00961 - 525066 3 00961

الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com البريد الإلكتروني: info@arabenchouse.com

خالد العاني: مؤسسها ومديرها العام

تقديم

من بين إهتمامات مؤسستنا، الكتب التي تتناول مختلف شؤون أقطار ومدن وموانئ الخليج العربي، المخطوطة منها والمطبوعة، باللغة العربية أو الأجنبية، وإسهاماً منّا في ترجمة الكتب الأجنبية منها إلى اللغة العربية، ومن بين الكتب العديدة التي أختيرت للترجمة، كتاب «البصرة» تاريخها - عشائرها - حكامها - علماؤها في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين المؤلف باللغة الفارسية لمؤلفه أغا محمد حسن خان الملقب بـ«بديع» المولود في مدينة الكاظمية حوالي عام ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م والمقيم بعد ذلك في البصرة عندما عين ولده ميرزا رضا خان قنصلاً لإيران فيها، وقد ولع المؤلف منذ صباه بالأدب العربي والفارسي.

وشغل المؤلف بعدئذ عدة مناصب قنصلية كان منها منصب القنصل الإيراني في البصرة عام ١٩٢٣م، لذا سنحت له الفرصة للتعرف على جوانب متعددة من الحياة السياسية والإجتماعية والإقتصادية فيها، بالإضافة إلى تعرفه على القناصل الأجانب وبخاصة القنصل البريطاني الذي كانت علاقته معه وطيدة جدًّا.

ومما يجدر ذكره أن المؤلف استغل منصبه ليعرض الجنسية الإيرانية على بعض الأسر العراقية البصرية المعروفة، ويغريهم بذلك، بحجة

حمايتهم من القرعة العسكرية العثمانية (التجنيد الإلزامي)، ويبدو أن القناصل الإيرانيين لا في البصرة فحسب وإنما في الكاظمية وكربلاء مارسوا هذه السياسة أيضاً.

هذا وأن نشاطه السياسي رشحه ليشغل عدة مناصب قنصلية كان آخرها منصب قنصل إيران في أفغانستان ولكنه أصيب بمرض أجبره على العودة إلى طهران ١٩٣٦، حيث توفى فيها عام ١٩٣٧[١].

ومما يجلب الإنتباه أن كثيرين هم الذين اهتموا بتاريخ العراق بصورة عامة وبمدنه المختلفة بصورة خاصة خلال فترات مختلفة من التاريخ القديم والوسيط والحديث، وذلك لشهرة بلاد وادي الرافدين وعراقة حضارته وكثرة خيراته التي كانت هدفاً لأطماع الدول الأجنبية وقد نشرت كتب كثيرة عن العراق كان بعضها على شكل رحلات والبعض الآخر عبارة عن خواطر وذكريات، وكشفت كتب الرحلات لنا أحياناً نواحي غامضة لم يتعرض لها المؤرخون من قبل مثلما أوضحت العلاقات السياسية والتجارية بين العراق والدول الأخرى.

إن بعض الكتب التي أُلفت عن العراق باللغات الأجنبية كان هامًّا وبعضها الآخر كان لا قيمة له وكثيراً منها كان يحوي الغث والسمين، إلا أن تجميعها وتوحيدها وترجمتها تبقى ضرورية جدًّا، وذلك لتوفير المادة التاريخية للمهتمين والمعنيين بأحوال العراق المختلفة ورغم ما في هذه الكتب من مبالغات أو تجاهل أو تحامل، فأنها تبقى مفيدة إلى حد كبير لأن الباحث المتبصر يستطيع أن يميز بين المجاملة والتحامل ويستنتج الكثير المفيد من ثناياها بشكل يتفق وحضارة هذه الأمة العريقة.

إن مؤلف «البصرة» تناول في كتابه تأسيس المدينة ودورها في

---

(١) لقد نعت جريدة العالم العربي «البغدادية» في عددها الصادر يوم الثلاثاء ٢٨ أيلول ١٩٣٧ وفاة المؤلف.

مختلف العصور الإسلامية وفصّلَ الحروب والاضطرابات والفتن التي وقعت فيها، وألقى الضوء على مشاهير البصرة من فقهاء ومحدثين وعلماء وأدباء ومؤرخين، وترجم لكثير منهم، وعندما تناول تاريخ البصرة الحديث، أشار إلى دور عشائر المنتفق وتسلطهم على ولاية البصرة وبخاصة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وتحدث عن حصار الفرس للبصرة عام ١٧٧٦-١٧٧٩، إبان عهد الأسرة الزندية الحاكمة في بلاد فارس.

وتناول أيضاً جغرافية الولاية وبين مناخها وزراعتها وأنهارها ووسائل مواصلاتها وشركاتها التجارية ودورها التجاري المتميز، وأفرد فصلاً هامًّا عن العشائر القاطنة في أطراف البصرة، وبيّن بشكل تفصيلي أفخاذها وأسماء شيوخها وعدد أفرادها وبخاصة في الفترة المعاصرة له، لذا يمكن اعتبار هذا الفصل مادة تاريخية أولية يمكن الإستفادة منها في دراسة الأوضاع العشائرية آنئذ.

ومما يجدر ذكره وللأمانة التاريخية أن نقول بأننا قد تجاوزنا أحياناً بعض التفصيلات التي وجدناها مدونة في كتب التراث بشكل أدق وأحلنا القارئ العربي إلى مضامنها، مثلما تصرفنا طوراً في الترجمة ولكن دون أن نجعل النص يفقد معناه الأصلي، أملنا أن يسهم هذا الكتاب في تسهيل مهام الباحثين العرب المهتمين بتاريخ البصرة والخليج العربي والجزيرة العربية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وهي فترة هامة من تاريخنا السياسي الحديث.

المقدمة

كان للبصرة - من حيث تجارتها وثروتها الطبيعية وحسن موقعها - في الزمن الماضي، وكذلك في الزمن الحاضر[1]، أهمية خاصة، ولهذا كثيراً ما كانت مدار تفكير السياسيين ومطمح أنظارهم... لأن البصرة من المدن القريبة جدًّا من إيران، وحدودها متصلة بحدود (عربستان)، فليس بين هذه المدينة وبين عربستان من فاصل غير مجرى نهر «شط العرب»، وكل ما يحدث فيها من سيء وحسن أو ربح وخسارة لا بد أن يسري إلى عربستان بسبب قرب الجوار وإتصال الحدود، بالإضافة إلى ذلك أنها نقطة عبور ومرور كثير من الزائرين والمسافرين الإيرانيين، وقد قمت بجمع وتأليف هذا الكتاب وجعلته مشتملاً على أربعة فصول:

الفصل الأول: في التاريخ الإجمالي (للبصرة).

الفصل الثاني: في بعض أحوال البصرة وأحوال رجالها.

الفصل الثالث: جغرافية البصرة الطبيعية والمدنية.

الفصل الرابع: الإحصاء (ولاية البصرة في سنة ١٣١٨هـ ١٩٠١م).

---

(١) إن مصطلحات الحاضر، اليوم، الآن، في هذا الوقت... الخ التي ترد في هذه الترجمة تشير الى عامي ١٩٠٥/١٩٠٦، وهي الفترة التي عاصرها المؤلف.

ولما كانت نية المؤلف خيرة، وكان قصده خدمة العلوم والآداب، فأنه يرجو من المواطنين الخبيرين والبصيرين بالأمور أن ينظروا لهذا الكتاب بعين الرضا، فإن لاحظوا سهواً أو سقوطاً إلا يأخذوه ممسكاً، بل بقبلوا عذري، وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم.

الفصل الأول

البصرة

يقال أن البصرة بنيت سنة ١٤هـ، ويقال سنة ١٥هـ، في زمن خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، ويعتقد بعض المؤرخين أن عتبة بن غزوان هو باني المدينة، ويعتقد البعض الآخر أن الذي بناها هو عاصم بن دلف بإشارة من سعد بن أبي وقاص فاتح العراق، وكانوا قد بنوا البيوت في البداية من القصب، وقد إتخذ المسلمون هذا المكان (**مكان البصرة**) معسكراً لقواتهم لأهمية موقعه العسكري، فجعلوا من القبائل العربية المختلفة جيشاً مستعدًّا «لفتح» إيران والهند، وجعلوا هذه المدينة قاعدة له، وعندما يؤمر الجيش بالتحرك، ينزعون بيوت القصب، وفي العودة يقيمونها ثانية، ولكن بسبب وقوع الحرائق المتكررة قام عاصم بن دلف ببناء المنازل من طين بعد موافقة الخليفة الثاني - فوضع بذلك أساس مدينة جديدة، وقد جعل عرض كل شارع رئيسي عشرين ذراعاً، وعرض كل زقاق سبعة أذرع وعرض كل ميدان أربعة وأربعون ذراعاً، وإختار مكاناً واسعاً جدًّا في وسط المدينة ليكون مسجد[١].

---

(١) للاستزادة يمكن مراجعة كتاب: الدكتور صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٦٩، الشيخ نعمان بن محمد بن العراق، كتاب معدن الجواهر بتاريخ البصرة والجزائر، إسلام آباد، ١٩٧٣، ص ٢٠.

يقول صاحب «القاموس»: بصرة بمعنى أرض صحراء، ورمال ناعمة فيها بياض، وهذا هو وجه تسمية هذه المدينة بـ(بصرة)، لأن أرضها رمال.

يقال أن البصرة هي أول مدينة بناها المسلمون، وبعد سنة أو ستة أشهر بدوأ ببناء مدينة الكوفة، وهذه البصرة التي ذكرناها هي تلك المدينة التي نسكنهافي الوقت الحاضر، فالبصرة القديمة تقع بين بلدة الزبير والبصرة الجديدة، وتبعد حوالي ساعتين[١]، عن المدينة «الحالية»[٢] وما زال من آثار المدينة الأولى تصف مئذنة مسجد فقط، يعرف بجامع علي[٣].

وقد خصص - مع بداية بناء هذه المدينة - ميدان واسع عرضه ستون ذراعاً ليكون سوقاً للمدينة، ولم يكن هذا السوق ملكاً خاصًّا لأحد، فالشخص الذي كان يذهب أولاً ويأخذ موضعاً، لا يعترضه أحد، وكان البدو يأتون إلى هذا السوق من نواحيهم، فيتناشدون الأشعار ويتسامرون، وفي هذا الوقت كانت مدينة الأبلة[٤]، عامرة، كثيرة الحدائق والنخيل والزروع.

---

(١) للراكب على دابه.

(٢) المقصود البصرة القديمة في الوقت الحاضر.

(٣) هو (المسجد الجامع الكبير) كما أجمعت عليه كتب التاريخ وهو ثالث مسجد بني في الإسلام وأول مسجد بني في العراق في أول الفتح الإسلامي وهو المعروف بين عامة الناس مسجد الإمام علي، ولا زالت بعض انقاضه المتداعية باقية.

أنظر: عبدالله باش أعيان العباسي، مسجد جامع البصرة الكبير، بغداد، ١٩٦٨، ص١٥.

(٤) الأبلة: بضم أوله وثانيه وتشديد اللام وفتحها، كانت على حد استنتاج الدكتور محمد طارق الكاتب تقع شمال نهر العشار عند تفرعه من شط العرب في موضع قريب من شارع الكويت الحالي، وهناك آراء أخرى بشأن موقع نهر الأبلة للاستزادة يمكن مراجعة: الدكتور محمد طارق الكاتب، شط العرب وشط البصرة والتاريخ، البصرة، ١٩٧٣، ص ٩٣ - ١١٤.

ويستفاد مما كتبه المؤرخون أن «البصرة الجديدة» قد أنشئت سنة ٢٧٠هـ، على هيئة قرية صغيرة سميت «بصيرة»[١]، كانت مصيفاً ومتنزهاً للعظماء.

كان أول أمير عُيّنَ في البصرة هو قحطبة بن قتادة الذي حكم (١٤) سنة، واجتهد في تعمير المدينة، ثم عُيّنَ عتبة بن غزوان بعد قحطبة، ومن بعده عُيّنَ المغيرة بن شعبه، ولكنه عُزلَ بعد سنتين وعين مكانه أبو موسى، وبعد مقتل عثمان بن عفان الخليفة الثالث سنة ٣٦هـ، عهد أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بحكومة البصرة إلى عثمان بن حنيف الأنصاري، وحدثت معركة الجمل المشهورة في البصرة في زمن ولاية عثمان هذا[٢].

وأن معركة الجمل هي أول حرب مهمة وقعت في البصرة، وقد عين الخليفة علي بن ابي طالب رضي الله عنه بعد المعركة عبدالله بن عباس والياً عليها.

وفي سنة ٤١هـ، دخلت البصرة تحت حكم الأمويين بعد أن صالح الإمام الحسن (عليه السلام) معاوية بن أبي سفيان، فإختار معاوية لولاية البصرة بسر بن أرطأة.

وفي سنة ٤٥هـ، تولى زياد بن أبيه ولاية البصرة لمعاوية وألقى فيها خطبة البتراء لتهديد أهلها... وإخضاعهم.

وفي سنة ٥٨هـ، تولى البصرة عبيدالله بن زياد.

وفي سنة ٦٤هـ، وبعد وفاة يزيد بن معاوية، أخذ عبيدالله بن زياد البيعة لنفسه من أهل البصرة، ثم نكث الناس بيعته وحاولوا قتله، فأخذ من

---

(١) بصيره: تصغير بصره.

(٢) نحيل القراء الكرام الى كتب التاريخ الإسلامي وبشكل خاص كتاب: المسعودي، مروج الذهب، المطبعة البهية، القاهرة، ١٣٤٦هـ، ص ٦، للاطلاع على تفاصيل هذه المعركة.

بيت مال المسلمين مليوناً وتسعمائة ألف درهم وفر بها، وفي نفس السنة بايع أهل البصرة عبدالله بن الزبير.

وفي سنة ٦٦هـ، استولى مصعب بن الزبير على مقاليد الأمور بالبصرة، وقد تمكن عبد الملك بن مروان من الإستيلاء عليها وقتل مصعب بن الزبير سنة ٧١هـ.

وفي سنة ٧٥هـ، اختارت دولة آل مروان الحجاج بن يوسف الثقفي لحكم العراق كله، وكانت البصرة أيضاً تحت سلطته.

وفي سنة ٨١هـ، جاء عبد الرحمن بن الأشعث بجيش من العراق إلى البصرة، وتقابل مع الحجاج وهزمه واستولى على المدينة، فذهب الحجاج إلى الكوفة، وجمع جيشاً لجباً من الشام وغيرها، وانتصر على عبد الرحمن بن الأشعث، واستعاد البصرة، كان الأمر قد خرج كليًّا من يد الحجاج في هذه المعركة، ولكنه وزع حوالي مليون درهم هبات ومنحاً لرؤساء وزعماء البصرة، فإستمالهم بذلك، وبعد أن هزم عبد الرحمن بن الأشعث، إستفاد كل ما وزعه على الرؤساء والزعماء.

وفي سنة ٨٣هـ، بنى الحجاج مدينة واسط بين البصرة والكوفة، وجعلها مقرًّا لحكومته، وكان غرضه من ذلك أن يكون قريباً من البصرة والكوفة، وعندما تظهر فتنة في إحدى المدينتين يصلها سريعاً.

وفي سنة ٩٥هـ، توفى الحجاج، وفي سنة ٩٩هـ، تولى البصرة عدي بن أرطأة من قبل عمر بن عبد العزيز، ولما كان أكثر الناس قد هجروا الأهل والديار فراراً من حكم الحجاج، فقد اجتهد عدي في الأخذ بايدي الناس ومساعدتهم، وسلك معهم طريق العدل والإنصاف، فإستراح الناس في عهد حكومته.

وفي سنة ١١٠هـ، توفي الحسن البصري، وهو من التابعين الكرام، وكان عمره ٨٧ سنة، وفي هذه السنة هطل مطر فوق العادة، حتى كان

الناس يتنقلون بين أحياء المدينة بالقوارب، وخرب (١٥٠٠) منزل، ويقع قبر الحسن البصري على بعد نصف ساعة من بلدة الزبير، وكذلك مات في هذه السنة محمد بن سيرين مفسر الأحلام في الثمانين من عمره، ومات الفرزدق الشاعر المشهورفي الحادية والتسعين من عمره[١].

ومن سنة ٤١ إلى سنة ١٣٢هـ - **وهي تسعون سنة** - كانت البصرة تحت حكم بني أمية من آل سفيان وآل مروان، وقد حكم البصرة خلال هذه المدة - بصورة مؤقتة - بعض الأمراء الأقوياء، مثل مصعب بن الزبير، وعبدالله بن الجارود، وعبد الرحمن بن الأشعث، والضحاك بن قيس، ونافع بن الأزرق الذي عرفت جماعته بالأزارقة، ويزيد بن المهلب الذي هرب من سجنه في الشام وجمع حوله جماعة، واستولى على البصرة، وهذه الأحداث مفصلة في كتب التاريخ الإسلامية، وأحجم عن ذكر تفاصيلها لأن قصد الكاتب هو ذكر موجز تاريخ البصرة.

وفي سنة ١٣٢هـ، انتقلت الخلافة العربية إلى بني العباس بتأييد أبي مسلم الخرساني[٢]، وأشتغل مؤيدوهم في كل مكان بتسخير البلاد، وعهد عبدالله السفاح بولاية البصرة إلى سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب، ولكن أهل البصرة لم يمكنوه، وقاموا بمدافعته، وأمدهم الأمويون بجيش من أربعة آلاف شخص، وبعد سبعة أيام قاسية فرّ أتباع بني أمية وسقطت البصرة في قبضة الجيش العباسي، وقد قتل في هذه الحرب كثير من الناس واختطف كثير من نساء وأطفال أهل المدينة، ويذكر أنه قتل في هذه

---

(١) ورد في النص عام ١٣١هـ.

(٢) للاستزادة عن طبيعة الدعوة العباسية العربية يمكن الرجوع الى مؤلفات وبحوث الدكتور فاروق عمر فوزى منها: بحوث التاريخ العباسي، بيروت دار العلم، ١٩٧٧، الخلافة العباسية في عصر الفتوحات العسكرية، بغداد، ١٩٧٣، طبيعة الدعوة العباسية، ٩٨هـ - ١٣٧هـ، بيروت، ٩٧٠ العباسيون الأوائل، ط٢، بغداد، ١٩٧٧.

الحرب (١٢) ألف نسمة، وخرب سبعة آلاف منزل، وسويت نصف أسواق المدينة بالتراب، وقتل سفيان (الوالي العباسي)، ستين رجلاً من عظماء بني أمية كانوا بالبصرة، وترك جثثهم في الطرقات، وقد إستولت الدهشة على سكان مدينة البصرة من مشاهدة هذه الأحوال.

وفي سنة ١٣٥هـ، تقرر أن يكون مركز تجمع قافلة الحجاز وموكب الحجاج في البصرة، ويقال أن مائتي ألف حاج اجتمعوا في البصرة، وكانت أرباح التجار في هذه السنة جيدة.

وفي سنة ١٤٠هـ، حفر الخطيب حاجب المنصور الدوانيقي نهراً كبيراً متفرعاً من شط العرب في الجهة الجنوبية من البصرة يعرف بأبي الخصيب، وأنشأ على جانبيه الحدائق والبساتين، وبنى قصراً فخماً على شاطئ النهر، وأبو الخصيب (الآن) قرية كبيرة، وأكثر مناطق البصرة عمارة، إذ لا يوجد فيها أرض خصبة، وأكثر البساتين فيها تزدحم أشجارها حتى لا نرى الشمس من بين أغصانها، وأكثر أغنياء البصرة وملاكيها من أهل هذه القرية، وهي على بعد ساعتين من البصرة، وسوف يرد ذكرها.

وفي سنة ١٤٤هـ، خرج في البصرة إبراهيم بن عبدالله بن الإمام حسن المجتبى، فأنقادَ إليه من أهل البصرة ونواحيها حوالي مائة ألف، فالتقى بجيوش المنصور العباسي في مكان بالقرب من الكوفة، فاستشهد في المعركة، وقتل عشرون ألف شخص.

وفي سنة ١٤٦هـ، - أي بعد سنتين - خرّبَ محمد بن سلمان (٣٠٠٠) منزل في البصرة بأمر من الخليفة العباسي المنصور، واقتلع أكثر من عشرين ألف نخلة من جذورها، وشنق خمسة وخمسين شخصاً من أهل المدينة، وقيد خمسمائة شخص منهم، وذلك لأنهم أجابوا دعوة إبراهيم.

وفي سنة ١٦٠هـ، وصل العمران بالبصرة إلى درجة أن عشرين ألف شخص كانوا يؤدون الصلاة في المسجد الجامع، فلما ضاق المكان بالمصلين قدموا مائة ألف درهم، وزادوا في مساحة الجامع.

وفي عهد هارون الرشيد قضى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام سنة في البصرة في أسر عيسى بن موسى بأمر من الرشيد، ثم أرسل عيسى إلى هارون يخبره **«لم أسمع من هذا الرجل العظيم خلال هذه المدة كلمة عداء بحقك أو حقي، فأنه يقضي أوقاته ليلاً ونهاراً في عبادة الله، وأنني لا أستطيع أن أتحمل مسؤولية أكثر من هذا، فأما أن تسلمه إلى آخر أو أخلي سبيله»**، عند ذلك أودع هارون ذلك الإمام عند حاجبه الفضل بن الربيع.

إزدهار البصرة

وصلت البصرة في أوائل القرن الثالث الهجري إلى درجة عالية من الرقي والعمران، ويبالغ بعض المؤرخين في وصف هذه المدينة فقد كتبوا أن بعض خلفاء بني العباس في بغداد سنة ٢١٠هـ، سأل عن عدد العلماء والطلاب في البصرة، فأخبروه أن فيها سبعمائة مدرس، وعشرة الآف طالب علم، فطلب الخليفة نسخة من كل مؤلف من مؤلفات علماء البصرة، فحصلوا على نسخة من كل كتاب من الكتب التي ألفت في مختلف العلوم خلال عشرين سنة، فاجتمع لديهم أكثر من مائتي ألف مجلد حملوها إلى بغداد في ثلاث سفن.

وذكروا أنه كان في هذه المدينة عام ٢٢٦هـ، (١٧٠٠٠) مسجد كبير وصغير، و(٧٠٠٠) حمام، وأن عدد الدراويش الذين سكنوا المساجد كان قد وصل إلى (١٦٠) ألف درويش[1]، وأن طول حدائق النخيل في البصرة وصل إلى (٥٤) فرسخاً وعرضها ما بين (٣,٥-٤) فراسخ، وأن عدد الأنهار والجداول الكبيرة المتفرعة من شط العرب لإرواء الحدائق قد زاد عن (١٢٠) ألف نهر وجدول، يسير فيها أكثر من خمسمائة ألف زورق، وقد وصل عدد السفن التجارية القادمة من الهند والصين وموانئ

(١) أنظر أيضاً: عبدالله باش أعيان العباسي، مسجد جامع البصرة الكبير ص ١٤.

فارس وعُمان وغيرها ورست في ميناء البصرة خلال شهر واحد حوالي (١٥٠) ألف سفينة[١].

ومن أصحاب الثراء الذين كانوا في البصرة في هذا القرن، محمد بن سليمان الذي كان معروفاً بين بني العباس بالعدل والسخاء والثراء.

فقد استلم ذات يوم مائة ألف درهم من عائدات أملاكه، وبنى قصراً فخماً على شاطئ أحد الأنهار مع حديقة جمع فيها الغزلان، والحمر الوحشية، والنعام، وجميع أنواع الحيوانات الوحشية والطيور المغردة، ونظَّمها على شكل حديقة حيوانات وللشعراء أقوال في وصف القصر وحديقته، من ضمنها **قول أحدهم**:

زر وادي القصر نعم القصر والوادي

في منزل حاضر أن شئت أو بادي

ومن القصور الفخمة التي شيدت في البصرة، واعتبرها أصحاب التواريخ جديرة بالذكر، قصر عبيدالله بن زياد، الموسوم بقصر «البيضاء» فقد كان الناس يأتون إليه ويتجولون فيه للإستمتاع بزينته وجماله، وكذلك قصر أوس بن ثعلبة الذي كان والياً على العراق و(خراسان) من قبل خلفاء بني أمية[٢]، ويقع القصر في مرج أخضر بالقرب من المربد[٣]، وقد ارتفعت شرفاته وغرفه حتى وصلت السحاب، وكانت حوله الأشجار

---

(١) يبدو أن هذه الأرقام مبالغ فيها ولكنها تدل في نفس الوقت على مدى ازدهار البصرة في العصور السالفة.

(٢) يسمي المؤلف خلفاء بني أمية بالملوك (كما فعل مع خلفاء بني العباس).

(٣) مكان رحب عرف بصفاء جوه كان في الجهة الغربية من البصرة كان الاعراب يهبطونه من النواحي القريبة للبيع والشراء وإلقاء الشعر.

عن المربد أنظر: عبد القادر باش أعيان، البصرة في أدوارها التاريخية بغداد، ١٩٦١، ص ٢٣.

الخضراء والمروج الخضراء مما يزيد في صفائه وبهجته، **قال شاعر في وصفه:**

بغرسي كأبكار الجواري وتربة كأن ثراها ماء ورد على مسك

فيا طيب ذاك القصر قصراً ونزهة ويا فيح سهل غير وعر ولا ضنك.

كان سكان البصرة في هذا العهد - حسب القرائن الصحيحة - يزيدون عن المليون[1]، فقد ذكر أن أبا جعفر المنصور وزع على أهل البصرة مليون درهم، فوصل لكل رجل درهمان، ومن المؤكد أن النساء والأطفال كانوا أكثر من خمسمائة ألف، وهذه قاعدة كلية، فإن النساء والأطفال - في أي مكان - أكثر من الرجال، فإذا غضضنا الطرف عن روايات ومبالغات المؤرخين، نستطيع أن نقر بكل اطمئنان، أن البصرة في هذا العهد كانت من مدن الدرجة الأولى من حيث التمدن والعمران والرقي المادي والمعنوي.

---

(١) إن هذه الأرقام تقديرية وهي لا تخلو من المبالغة.

الأبلـــة

يقول المؤرخون: كانت الأبلة مدينة صغيرة في البصرة، عامرة جدًّا، يجري في وسطها نهر في غاية اللطف، على جانبيه الأشجار الخضراء اليانعة، والجداول الساحرة المنظمة، تزدان شواطئه بالأشجار والأزهار وتتزين حدائقه بأنواع الورود، وتسير في النهر الزوارق المزدانة بلا انقطاع، وتتردد في تلك المنطقة همهمة الأغاني، وزمزمة الغواني، فتسعد السامعين، فقد كانت الأبلة متنزه أهل البصرة[1]، أما (الآن) فلا أثر من الأبلة، ولم يبق من هذه الجنة الأرضية سوى ذكراها في كتب التاريخ.

جنات العالم الأربع

جنات العالم الأربعة المشهورة هي:

صفد سمرقند، وشعب بوان، وأبلة البصرة، وغوطة دمشق، ففي قديم الزمان كانت هذه المناطق الأربع ترجع جميع مناطق المعمورة، من حيث اخضرارها ونضارتها وصفاؤها، وجودة طقسها، فسموها الجنات

---

(١) للاستزادة يمكن مراجعة كتاب: الدكتور صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، في القرن الأول الهجري، ص ٣٧.

الأربع، وقد ذكرها جميع أئمة التاريخ، ويقال أن أبلة البصرة اعتبرت واحدة من هذه الجنان الأربع لكثرة بساتينها ورياحينها، أما جو البصرة وماؤها فليسا ممدوحين، واشتهرا بوخامتهما منذ القديم، وقد نظم الشعراء السابقون واللاحقون قصائد في مدحها، وسوف يرد ذكر بعضه.

ثورة الزنج(*)

عندما وصلت البصرة إلى مرحلة الإزدهار والتمدن، وكان سكانها يستمتعون بمنتهى السعادة والرفاهية، حدثت ثورة الزنج، وقد أوصلت الثورة سكان المدينة إلى أسفل الدركات، وخربت تلك البلاد من أولها إلى آخرها، ويعتبر المؤرخون هذه الفتنة العجيبة من الأحداث الهامة في تاريخ البصرة، وهذا مجمل لوقائعها:

في سنة ٢٣٢هـ، انقسم سكان المدينة إلى مجموعتين هما: السعدية، والبلالية، وقام بينهما الجدال والقتال، فأوقعوا المدينة وحكومتها الضعيفة في الهرج والمرج، ووصل الأمر أن بعض الحكام الذين يأتون إلى البصرة يبقون شهراً أو أكثر ثم يستعفون، أو يقتلهم المفسدون، أو يخرجونهم من المدينة منفيين، واستمرت هذه الفوضى في البصرة حتى سنة ٢٥٤هـ، ففي هذه السنة ظهر رجل يسمى: «علي بن

(*) هناك آراء مختلفة في تفسير ثورة الزنج للاستزادة يمكن مراجعة:
الدكتور فيصل السامر، ثورة الزنج، ط٢ بيروت، ٩٧٨.
الدكتور فاروق عمر فوزي، حول طبيعة حركة الزنج، مجلة آفاق عربية العدد ٨، نيسان، ١٩٧٩.
الدكتور عبد الجبار ناجي، التنظيم العسكري لجيش صاحب الزنج، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٧، ١٩٧٨.

أحمد بن محمد»، فأعطى لكل واحد من الزنوج والغلمان السود خمسة دنانير ذهباً، ودعاهم إلى طاعته وعصيان أسيادهم، وحررهم من قيد العبودية، فأنقاد إليه عدد كبير من الغلمان السود، فمدوا أيديهم إلى أموال الناس وأرواحهم، ومالوا إلى سفك الدماء، وإثارة الفتنة، وقد قاتلوا أهل البصرة وجيوش العباسيين وهزموهم عدة مرات، وأحرقوا أغلب أحياء المدينة والقرى وسوّوها بالتراب ونهبوا أموال الناس، وأسروا أطفال عباد الله ونساءهم، وأخضعوا جميع منطقة البصرة حتى الأحواز، فاختفى أهل مدينة البصرة خوفاً على أرواحهم، ولاذ بعضهم بالصحراء أو بالنواحي، ثم دخل الزنج المدينة ونهبوها مدة ثلاثة أيام وأحرقوا المنازل، وارتكبوا أنواع الفظائع، ثم أعلن علي بن أحمد قائد الزنوج الأمان، ودعا الناس مُظهراً أن سيوجه إليهم التعليمات والتنبيهات، فاجتمع في المسجد الجامع حوالي مائة ألف شخص مطمئنين بالأمان الذي أعلنه، وفجأة أمر بأن يضربوا بالسيوف، فامتلأت أرض المسجد بدماء هؤلاء المنكوبين، وأفناهم عن آخرهم، ثم أمر بهدم المسجد من أساسه، وقد كتب المؤرخون أن خمسة عشر ألف بيت ومائتي ألف مسجد قد خربت في هذه الثورة، وقتل حوالي (١٢٠) ألف شخص.

وأخيراً جمع الخليفة العباسي الموفق بالله نفسه جيشاً لجباً من بغداد والكوفة وبقية أنحاء العراق، وبعد قتال شديد، ومشقات لا تحصى شتت جمع الزنوج سنة ٢٧٠هـ، وطهّرَ البصرة ونواحيها من رجس وجودهم بحد السيف، بعد ذلك أرسل منادياً ينادي بين الناس أن كل من يطلب شيئاً فقد منه فيأت ليأخذه، فقد جمع ما وصلت إليه الأيدي من الأموال المنهوبة، وحررت النساء والأطفال من الأسر وردوا إلى أهلهم، وكان ذلك اليوم بمثابة عيد لأهل البصرة.

استمرت ثورة الزنج أربعة عشر عاماً، وقد قتل خلال هذه المدة (١٥٠)، ألف إنسان، ووقع في أسرهم (٢٠٠) ألف إمرأة، و(١٠) آلاف

طفل، و(١٢٠) ألف رجل، ونهبوا ما يقدر بأكثر من (٢٠) مليون دينار أشرفي ذهباً من أموال الناس النقدية.

وبناء على أقوال المؤرخين، فإن المكان الذي بناه الموفق ودعاه «الموفقية» دعي بعد ذلك «البصيرة»، وهي البصرة الموجودة (الآن)، لأن البصرة القديمة قد خربت في ثورة الزنج، وانتقل الناس إلى هذه البصرة (أي الجديدة)، وتركوا اسم «الموفقية» وسموها «البصرة» والله أعلم.

وفي سنة ٢٧٨هـ، انتشر في الكوفة المذهب القرمطي، وقد أقام أتباع هذا المذهب، الذين يسمون «القرامطة»، المفاسد، ونشروا الخرائب في القطيف - والإحساء - والبحرين - والبصرة، وكثيراً ما أغاروا على البصرة ونواحيها، وأخذوا النساء والأطفال أسرى، وقد ردموا آبار المياه في طريق مكة المشرّفة وخربوها، وقتلوا قوافل الحجاج عطشاً، وقطعوا الطريق على قوافل الحجاج، واستمروا في فتنتهم وفسادهم عدة سنوات، وارتكبوا أنواع الفضائح من قتل وأسر ونهب للأموال، حتى قام أرباب دولة بني العباس بتفريق هذه الجماعة وإضعافها، وتخليص عباد الله من شرهم، بعد قتال عنيف ومجهود كبير، وفي كتب التاريخ تفصيل لفساد القرامطة وفتنتهم[(١)].

يدعى مؤسس المذهب القرمطي، «فرج بن عثمان»، وقد ادعى أنه المهدي المنتظر، وأحمد بن محمد بن الحنفية، وجبريل، وناقة صالح، ويحي بن زكريا، والروح القدس هم تمامه، وقد زوّر قرآناً كتب فيه أحكام مذهبه، والصلاة في مذهبه أربع ركعات، ركعتان قبل شروق الشمس

---

(١) الدكتور عبد العزيز الدوري، العصر العباسي الأول، بغداد، ٤٥ دراسات في العصور العباسية المتأخره، ص ١٢٦.

بندلي جوزى، من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام، بيروت، مطبعة الجهاد.

وركعتان بعد شروقها، والصلاة عنده تجب في يومين من السنة فقط: مرة في يوم النيروز[1]، ومرة في يوم المهرجان[2]، والخمر عنده حلال، ويكفي وضوء بسيط بدل غسل الجنابة، ويوجب قتل كل مخالف له، ويفرض الجزية على من لا يقبل مذهبه، ويوجب قراءة آيات من قرآنه الزائف في الصلاة، وقد خدع العوام بترهاته فايده جمع من الأرذال طمعاً بالمال والجاه، وفعلوا ما فعلوا، ويمكن أن يوجد هذا النوع من الناس الذين لا يعرفون الله في كل زمان ومكان، يضلون العوام بالخداع والتدليس ويلقونهم في حبائل الضياع كالأنعام، فيصبوا على عباد الله أنواع المصائب، ويجعلون أموال الناس وأرواحهم وشرفهم وقفا على مشيئة أنفسهم الإمارة بالسؤ، وكان الدين أفضل الوسائل لتحقيق المقاصد الخبيثة لأعداء الإنسانية هؤلاء، ففي كل يوم يظهرون بلباس شيطاني جديد ويجذبون إليهم أصحاب النفوس الضعيفة، فواحد يدعي الكشف والكرامة، وآخر يدعي النبوة أو الإمامة.

فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون.

ومن المناسب في هذا المقام أن أورد قصة رجل يسمى حسام الدين من أهالي «ساوجبلاغ» ادعى التطبيب في البصرة، ثم اختفى مدة عاد بعدها ليدعي النبوة تارة والإمامة أخرى، ثم ذهب إلى الكويت وادعى النبوة أمام أميرها الشيخ مبارك الصباح الذي أمر بضربه ضرباً شديداً حتى فارق الحياة[3].

---

(١) النيروز: الانقلاب الربيعي.

(٢) الانقلاب الخريفي.

(٣) ترجمت القصة باختصار.

ومن سنة ١٣٢هـ، التي كانت بداية ظهور دولة بني العباس، حتى سنة ٦٥٦[1]، التي انتهت فيها تلك الدولة بانتصار هولاكو خان التتري كانت البصرة خلال هذه المدة - غالباً - تحت حكم الملوك المتسلطين والأمراء المتغلبين في ذلك العهد، ولم يكن لأصحاب الدولة من بني العباس أي سلطة عليها، على الرغم من أنها كانت في الظاهر جزءا من العراق، وراجعة لدولة بني العباس، وكان بعض الملوك المسؤولين على البصرة يقدمون الهدايا أحياناً إلى خلفاء بني العباس، وبعضهم لم يكن يقدم شيئاً، وكان الضعف العام قد تسلل إلى استقلال الخلفاء العباسيين عندما انغمسوا في الملاهي والملذات وخذلهم الملوك والأمراء في كل ناحية، وكان الخلفاء في بغداد صنائع أمراء آل بويه وسلاطين السلاجقة، كما قال الشاعر:

خليفة في قفص بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له كما تقول الببغا

وكانت البصرة - بعد الموفق بالله - غالباً في قبضة ملوك الديلم، أو في حوزة السلطنة السلجوقية، وحينما كان الضعف والفتور يسود هذه المدينة كانت تهاجمها طوائف الأعراب ورؤساء العشائر ويحدثون فيها خراباً كثيراً، وكانت مدينة البصرة - بسبب مائها وترابها المبارك وموقعها الجغرافي والتجاري الهام - محط أنظار سلاطين العصر والأمراء الأقوياء، وكان أهل البصرة - من نساء ورجال - معرضين دائماً للنهب والأسر والقتل.

ففي سنة ٣٢٦هـ، استولى البريدي حاكم الأحواز على البصرة، وظلت في يده حتى سنة ٣٣٥، ففي السنة المذكورة جاء معز الدولة والخليفة المطيع لله العباسي مع جيش كثيف واستردا البصرة من يد

---

(١) ورد في النص خطأ عام ١٣١ و٦٥٥ على التوالي.

البريدي، وبعد موت معز الدولة أعلن ابنه حبشي الاستقلال في البصرة، وخرج على عمه بختيار، وحكم مستقلاً عدة سنوات.

في سنة ٣٥٦ جاء جيش بقيادة أبي الفضل عباس بن الحسين، وبعد عدة أيام من القتال تغلب على حبشي وأسره وأرسله إلى بغداد وكان من ضمن الأموال التي صادروها من حبشي - عدا الكتب والرسائل غير المجلدة - خمسة عشر ألف مجلد من الكتب النفيسة.

وفي سنة ٣٦٥ أخضع عضد الدولة الديلمي بجيش جرار البصرة وواسط، ثم استولى بعد ذلك على العراق كله، وخطب باسمه، وقتل الوزير ابن بقه وعلق جسده على رأس جسر بغداد، **يقول أبو الحسين الأنباري في رثاء إبن بقه:**

علو في الحياة وفي الممات   لَحقٌ أنتَ إحدى المعجزاتِ

ومن سنة ٣٦٥ حتى سنة ٤٤٧ كانت البصرة في أيدي ملوك آل بويه والأمراء الديالمة: معز الدولة - شرف الدول - صمصام الدولة، بهاء الدولة - جلال الدولة - أبو كاليجار - وغيرهم من أمراء الديالمة الصغار والكبار الذين حكموا البصرة، ثم تسلط سلاطين السلاجقة على بغداد والبصرة وفي سنة ٤٤٧، أُجّرتْ البصرة إلى «هزار اسب بن تكين» بثلاثمائة وستين دينارا سنويًّا، أي بألف دينار أجرة يومية تقريباً.

وفي سنة ٤٥٤ عم الخير والبركة هذه البلاد (البصرة) وكثرت الخيرات حتى بيعت ألف وقية من التمر بدرهمين[١] وأخيراً دفع الناس أجرة للحمالين ليلقوا تمر السنة الماضية في مجرى النهر، نعم، لو كانت «قناة السويس» مفتوحة في ذلك الوقت، ولو كانت السفن البخارية موجودة لما وصلت هذه السلعة الهامة إلى هذه الدرجة من

---

(١) الوقية تعادل ألف درهم.

الابتذال، ولكانت تنقل إلى الهند والسند والحجاز واليمن ومصر وبلاد الفرنج[1]، وأمريكا كما يحدث (في هذه الأيام)، ١٩٠٥/١٩٠٦ ويأخذون به النقود الذهبية، فيا للاسف، فإنما الآن لا نعرف مدى فائدة مد الطرق وافتتاح المسالك، وإلى أي حد تساعد التجارة وتمد بالثروة، ففي جميع إيران فرسخ واحد من السكك الحديدية فقط، وهو لسوء الحظ أموال أجنبية، ومع أننا نرى بأعيننا منافعه العامة والخاصة، إلا أننا لا نحرك يداً أو قدماً في سبيل إقامة خط واحد من السكة الحديد، ربما قيدت النكبة أيدينا وأقدامنا بشدة عن الأعمال الخيرية.

وفي سنة ٤٨٣هـ، قام عشرة آلاف فارس من قبائل بني عامر والأحساء بالهجوم على البصرة، فاستولوا على المدينة، فنهبوها وأحدثوا فيها خراباً لم ير ولم يسمع بمثله في أي زمان قط، فقد نهبوا أموال الناس وكل شيء أرادوه، بالإضافة إلى عشرة آلاف منزل هدموها من أساسها، وسووا الدكاكين والأسواق بالأرض، وأحرقوا مكتبتين مهمتين، وعندما وصل هذا الخبر المؤلم إلى إسماع السلطان ببغداد، أرسل جيشاً كبيراً بقيادة سعد الدولة كوهرائين وسيف الدولة لدفع هذه الغائلة، ولكن، تفرّقَ الأعراب في صحراء جزيرة العرب قبل وصول الجيش.

وفي سنة ٤٩٩هـ، أعلن حاكم البصرة المسمى إسماعيل استقلاله، فحاصر حاكم الحلة سيف الدولة صدقة بن دبيس مدينة البصرة بعشرين ألف شخص من ناحية النهر والبر، واستولى عليها بعد حصار دام ستة عشر يوماً، واشتد القتل والنهب في المدينة لمدة ثلاثة أيام، ثم أعطى سيف الدولة الأمان للناس وعين أحد غلمانه المسمى «تونتاش» حاكماً على البصرة، وعاد إلى الحلة، وهاجمت البصرة بخمسة آلاف فارس أو ستة آلاف، واشتغلوا بسفك الدماء ونهب الأموال مدة اثنين وثلاثين يوماً،

(١) يقصد ببلاد الفرنج: أوروبا.

وارتكبوا كل أنواع الفظائع والقبائح الوحشية، فقد خربوا ستة آلاف منزل وعشرة آلاف دكان، كما أحرق أولئك الأشرار الجهلة مكتبة أبي الفرج بن بقاء، التي جعلها وقفاً، وكانت تضم خمسين ألف مجلداً.

في سنة ٥٠٣هـ، عين الأمير اقسنقر عاملاً على البصرة من قبل السلطان محمد السلجوقي، فقام هذا العامل العادل ببذل أقصى همة في سبيل تعمير المدينة، وجلب الراحة والهدؤ للناس، ورفع الظلم عنهم، فقام بترميم المساجد الخربة، وعمر منازل الفقراء مجاناً، وكان باراً بالرعية لدرجة أنه خصص سفناً لإحضار الماء من دجلة، ويوزعه بين الناس، وكان الناس في أمن وراحة طالما كانت البصرة تحت حكم سلاطين السلاجقة، بسبب حسن سيرة عمالهم.

في سنة ٦٥٦هـ، طوى هولاكو خان بساط دولة المستعصم، وأخذ جيش التتار يستولي على أقطار المعمورة، وصارت البصرة - وهي جزء من العراق - تدفع الجزية لسلاطين المغول.

في سنة ٧٤٠هـ، حيث بدأ انحسار سلطان أسرة جنكيز، استولى الشيخ حسن إيلخاني على العراق جميعه، وكانت البصرة جزءا من البلاد الخاضعة للأسرة الإيلخانية.

في سنة ٨٠٢هـ، استولى الفاتح الشرقي الكبير الأمير تيمور كوركاني على العراق العربي، وضبط البصرة والجزر حفيده أبو بكر بن ميران شاه، وبقيت البصرة مدة تحت حكم السلاطين التيموريين.

في سنة ٨١٤هـ، أعلن قره يوسف وهو من أمراء التركمان (قره قويونلو)، الاستقلال، وعهد حكم البصرة وبغداد لإبنه الشاه محمود، وقد حكم أمراء «قره قويونلو» البصرة زمناً، وكانوا قد استولوا على أذربيجان وديار بكر - وبغداد - وفارس - وكرمان.

في سنة ٨٧٠هـ، قام «حسن الطويل» من أمراء التركمان

«آق قويونلو» وأنهى وجود أسرة «قره قويونلو»، بعد حروب طويلة وشاقة، وفي سنة ٨٧٢ حكم أمراء آق قويونلو البصرة والعراق العربي، وفي سنة ٩١٤ قاد الشاه إسماعيل الصفوي جيشاً ضخماً وأخضع العراق والبصرة لسلطانه، فدخلت هذه المدينة في حوزة السلطنة الصفوية.

في سنة ٩٤١هـ[١]، جاء السلطان سليمان العثماني إلى بغداد، **دخلت البصرة تحت حكم سلاطين آل عثمان**، ولكن العرب كانوا يتصدون لحكومة هذه المدينة، ويظهرون الانقياد والطاعة للدولة العثمانية ولكنهم كانوا - في أغلب الأوقات - يميلون إلى الاستقلال ويعلنون العصيان.

في سنة ١٠٢٥ أعلن حسين باشا بن افراسياب الاستقلال في البصرة، وحارب الجيش العثماني عدة مرات، وكان ينتصر حيناً وينهزم حيناً آخر، وحكم البصرة وتوابعها والإحساء، مستقلاً لعدة سنوات، حتى أرسل سلاطين آل عثمان: إبراهيم باشا وكنعان باشا ودلاور باشا مع جيش كثيف لإخضاعه، ولما كان أهل البصرة قد ضاقوا ذرعاً بسوء سلوك حسين باشا فقد تقاعسوا عن مساعدته، ولذلك لم يستطع أن يقاوم بمفرده ففر إلى «حويزة» ومنذ ذلك الحين كانت البصرة حيناً تحت حكم الأمراء العثمانيين وحيناً في قبضة طوائف المنتفق[٢]، حتى سنة ١١٠٩، عندما قام فرج الله خان والي الحويزة[٣]، من قبل سلاطين

---

(١) ورد في النص خطأً عام ٩٤٥.

(٢) المنتفق: استولت عشائر المنتفك على إدارة الحكم في البصرة في حدود عام ١٦٩٥ ولكنهم دخلوا في صراع مع المشعشعين الذين طردوهم منها، أنظر: عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٦، بغداد، ص ص ٥١ - ٦٤.

John R. Parry, Karim Khan Zand, a history of Iran 1747 - 1779, U.S.A. 1979, p.167.

(٣) وهو من المشعشعين للاستزادة يمكن مراجعة: جاسم شبر، تاريخ المشعشين =

الصفويين[١]، واستولى على البصرة وطرد حاكمها المسمى مانع، وعين من قبله حاكماً على البصرة هو داود خان[٢]، وظل حكام الحويزة يتولون حكم البصرة مدة من الزمن[٣].

وفي سنة ١٧٧٤ أخضع كريم خان الزندي مدينة البصرة[٤]، وقد ذكر السيد عبد اللطيف الشوشتري - الذي كان من أدباء عصر كريم خان، وكان أخوه الأصغر سيد محمد شفيع في البصرة أثناء حصارها - كيفية إخضاع المدينة في كتابه «تحفة العالم»، فقال: سبب غضب كريم خان ووقوع هذه الحرب هو أن عمر باشا والي بغداد سلك سلوكاً سيئاً مع زوار العتبات المقدسة، وكان يأخذ منهم رسوماً غير مقررة «القزل باش»، فاشتكى هؤلاء إلى بلاط كريم خان، الذي أرسل حيدر قلي خان زنكه إلى بغداد، لكي ينصح الباشا المشار إليه.

إلا أن الباشا اعتبر ذلك تدخلاً في شؤونه ورفض الاستجابة، لذا أمر كريم خان أخاه صادق خان وأحد أبناء عمه نظر علي خان الزندي، مع جمع من الجند بالاستيلاء على البصرة وبغداد، فأسرع صادق خان فعبر من شوشتر إلى البصرة وحاصرها، وكان متسلم البصرة في ذلك الوقت سليمان آغا، والمتسلم هو الحاكم الذي تكون درجته أقل من درجة الوالي، وسلمان آغا هذا يأتي في المرتبة بعد والي بغداد، وهو يعرف

= وتراجم أعلامهم، النجف الأشرف، ١٩٦٥، ص١٦٠.

(١) عن الصفويين في هذه الفترة يمكن مراجعة: حسن محمد القهواتي، العراق بين الاحتلالين العثمانيين الأول والثاني ١٥٣٤ - ١٦٢٨، أطروحة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٧٥.

(٢) أنظر: لونكرك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: ترجمة جعفر خياط، ص ص ١١٤ - ١١٥.

(٣) من حكام الحويزة المشعشين أنظر: محمد هليل الجابري.

(٤) Perry, op.cit., p.199.

عند العثمانيين بـ«بيوك سليمان باشا»، (سليمان باشا الكبير)، واستمرت مدة الحصار أربعة عشر شهراً، ووصلت حالة المحاصرين من القحط والشدة حتى اضطروا إلى أكل لحوم الحيوانات المحرمة مثل الكلاب والقطط، ومات خلق كثير، فطلب المحاصرون الأمان، وأرسلوا السيد محمد شفيع إلى السردار للتحدث بشأن الصلح وتسليم المدينة والقلعة، فأعطى صادق خان الأمان لجميع الناس من عسكريين ومدنيين، ودخل المدينة في اليوم التالي، وضرب السكة باسم ملك إيران، وتنفس الناس الصعداء من العذاب والشدة ووجدوا فرجا، وأرسل صادق خان متسلم البصرة سليمان آغا مع جماعة من أعيان المدينة من مسلمين وفرنجة ويهود وأرمن مع أخيه علي نقي خان إلى شيراز.

يقول السيد عبد اللطيف مؤلف (تحفة العالم): كتب إليّ السيد محمد شفيع رسالة أخوية، وأوصى بالأمراء وأكد على ذلك، وعندما جاءوا إلى شوشتر أنزلت سليمان آغا مع إثنين أو ثلاثة من خواصه في أحد منازلي، وواسيته، فقد وجدته رجلاً عاقلاً عالي الهمة، ومع أنني منذ بداية أمري لم أكن أعتقد بتاثير النجوم وأحكامها، فقد كنت في ذلك الوقت مجدا على تعلم ذلك واستخراج الأحكام، فطلب سليمان آغا أن أتنبأ له عن المستقبل، فكتبت ما اتفق لي من علم النجوم وقدمته إليه، وكان من ضمنه وصوله إلى مرتبة الوزارة في بغداد، والذي صادف أن طابق الواقع بعد عدة أيام سار الأسرى إلى شيراز، وكانوا هناك موقع العطف الملكي، وبعد موت كريم خان[1]، خرج سلمان آغا من شيراز، ونال لقب الباشوية ووصل إلى مرتبة الوزارة بسبب حسن أخلاقه وكفاءته في عمله، وقضى سنوات والياً في بغداد[2]، وكان يسلك سلوك العدل

---

(١) توفي كريم خان الزندفي ١٣/ صفر المصادف ١/ آذار ٧٧٩.

Perry, op. cit.,

(٢) للاستزادة يمكن مراجعة، عباس العزاوي العراق بين احتلالين ج٦.

والانصاف مع زائري العقبات العليا سواء كانوا من الغرباء أو من أهل البلد، وقد أزدهرت بغداد في عهده كثيراً.

حدثت هذه الواقعة في البصرة بعد الطاعون العظيم بسنة واحدة، فقد ظهر هذا الطاعون في سنة ١١٥٦م وانتشر في جميع البلدان العثمانية، وقد أرخ له سيد محمد زينا، وهو أحد الأدباء، وذكره بأنه «الطاعون العظيم - ١١٥٦» ولأنه استمر مدة إحدى وثلاثين سنة فقد ذكره أيضا بأنه «الطاعون العظيم-١١٨٧م»[1]، وقال: «انتشر هذا البلاء المبرم من أسلامبول إلى العراق العربي، ومن هناك إلى عربستان وموانئ الخليج العربي، وكان شديداً جدًّا، فقد أباد الناس في بعض المناطق، ومات في بغداد في اليوم الأول سبعون ألف شخص، وتعدى (الموتى) العد والحساب في اليومين الثاني والثالث».

وتوجد الآن محلة في البصرة تسمى «فرسي» وسمعت أنها كانت في الأصل «فارسي»، وأن جنود كريم خان سكنوا في تلك المحلة، ولهذا عرفت بمحلة «فارسي». ويوجد في تلك المحلة مسجد أيضاً من بناء صادق خان، وليس لذلك المسجد الآن رونق، ويصلي فيه الشيخية، وقد سمعت من بعض التقاة أنه كان للمسجد في السابق مئذنة، رآها كثير من الرجال الكهول.

---

(١) ورد بأن وباء الطاعون في البصرة في عام ١٧٧٣ فتك بحوالي (٢٠٠) ألف من سكانها من أصل (٣٠٠) ألف.

لوريمر، دليل الخليج القسم التاريخي، ج٤، ١٨٣٩ - ١٨٤٠ ص ص

ورد أيضاً بأن الوباء حدث عام ١١٨٦ هـ/ ١٧٧٢ أنظر: العزاوي ج٦، ص ١٣، نقلاً من تحفة عالم.

الفصــل الثانــي

البصرة وأحوال رجالها

كان إبن بطوطة الطنجي أحد الرحالة العرب، قد جاء إلى البصرة في أوائل القرن السابع الهجري، بعد سقوط دولة بني العباس، في عهد السلطان أبي سعيد بهادر خان، وقد أورد في كتابه «تحفة النظار» الذي طبع مراراً ما يلي[1]:

«بعد زيارة مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام، انطلقت إلى البصرة بصحبة قافلة كبيرة من عرب خفاجه[2]، ولهذه القبيلة شوكة عظيمة، ولا سبيل للسفر في تلك الأنحاء إلا في صحبتهم، فاستأجرت جملاً بوساطة أمير القافلة «ثامر بن دراج الخفاجي»، وخرجنا من النجف ونزلنا الخورنق، وخرجنا من هذا المكان أيضا، ووصلنا إلى البصرة بعد قطع المسافات وطي المنازل، «فنزلنا بها رباط مالك بن دينار، وكنت رأيت عند قدومي عليها على نحو ميلين منها بناء عاليا مثل الحصن، فسألت: ما هذا البناء، فقيل لي: هو مسجد حضرة علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد كانت البصرة سابقاً كبيرة ومتسعة الأرجاء، حتى كان هذا المسجد في وسط المدينة، والآن هو على بعد ميلين منها، ويبعد

---

(١) يستطيع القارىء المهتم مراجعة تحفة النظّار ج١، القاهرة - ١٩٣٨، ص١١٣ - ١١٨.

(٢) خفاجة: قبيلة من بني عامر، المؤلف.

سور المدينة القديمة ميلين أيضاً، وتقع البصرة بين السور والمسجد، أي أن المسجد يقع في ناحية على البعد المذكور، ويقع السور في الناحية الأخرى.

والبصرة واحدة من أمهات بلاد العراق، ومن المدن الشهيرة الواسعة الطيبة، تكثر فيها البساتين والفواكه، أرضها خضراء مباركة ومحببة إلى النفس، لأنها مجمع البحرين العذب والاجاج، ولا يوجد في الدنيا أكثر نخلاً من البصرة، ويباع التمر في سوقها أربعة عشر رطلاً عراقية بدرهم واحد، ويصنعون التمر عسلاً يسمى «سيلاب» كأنه الشراب المصفى.

وقد أرسل لي قاضي البصرة حجة الدين، قوصرة[1]، تمر، يحملها الحمال بمشقة، فبعتها بتسعة دراهم، أخذ الحمال ثلثها أجرة نقلها من المنزل إلى السوق.

في البصرة ثلاث محلات، إحداها محله هذيل ورئيسها الشيخ الفاضل علاء الدين بن الأثير، وهو من الكرماء، فقد استضافني وبعث لي بثياب ومال، والمحلة الثانية محلة بني حرام وكبيرها السيد مجد الدين موسى الحسني، وهو رجل كريم النفس، فقد دعاني، وبعث لي بالتمر والسيلان والنقود، والمحلة الثالثة محلة العجم وكبيرها جمال الدين بن اللوكي.

وأهل البصرة لهم مكارم الأخلاق وإيناس للغريب، فإن الرجل الغريب لا يضيق صدره بينهم، وهم يؤدون صلاة الجمعة في مسجد علي بن أبي طالب عليه السلام، ويقفل المسجد في بقية أيام الأسبوع، وهو من

(١) القوصرة: عبارة عن من واحد خاص بالتمور فقط ويساوي ستين حقة والكاره الكبيره تساوي (٤٠) قوصره، والصغيرة تساوي (٢٠) قوصرة، القهواتي، دور البصرة التجاري، ص ٤٨٩.

أجمل المساجد، مساحته واسعة، ومفروشة بالحجارة الحمراء التي يأتون بها من وادي السباع(١)، وفي هذا المسجد المصحف الذي كان يقرأ فيه عثمان بن عفان عندما قتل وأثر الدم في الورقة التي فيها قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

شهدت مرة بهذا المسجد صلاة الجمعة، فلحّنَ الخطيب في خطبته كثيراً فتعجبت وذكرت ذلك للقاضي حجة الدين، فقال: لم يبق في هذا البلد من يعرف شيئا من علم النحو، فقلت في نفسي: سبحان الله، هذه هي البصرة التي انتهت إلى أهلها رئاسة علم النحو، وفيها أصله وفروعه، فأي تغيرات وتقلبات أصابت أحوال البلاد والعباد؟

وأخيراً، فإن لمسجد علي عليه السلام سبع صوامع، إحداها الصومعة التي يزعمون أنها تتحرك عندما يذكر اسم علي بن أبي طالب عليه السلام.

---

(١) وادي السباع: الوادي الذي قتل فيه الزبير بن العوام يبعد عن البصرة قرابة خمسة أميال.

الحموي، معجم البلدان، ج٥، بيروت ١٩٠٧، ص ص ٣٤٣ - ٣٤٤.

يوسف حمد البسام، الزبير قبل خمسين عاماً، مع نبذه تاريخية عن نجد والكويت، ١٩٧١، ص٣٣.

المقابر والمشاهد

١ - **مقبرة طلحة بن عبيدالله**: أحد العشرة المبشرين بالجنة، وهي داخل المدينة، لها قبة وزاوية ومسجد، وفي الزاوية يقدم الطعام للناس الوافدين.

٢ - **قبر الزبير بن العوام**: خارج البصرة، وليس له قبة ولا مسجد ولا مضافة (زاوية) للفقراء[١].

٣ - **مرقد حليمة السعدية**: مرضعة الرسول ﷺ.

٤ - **قبر إبن حليمة السعدية**: وهو أخو الرسول ﷺ بالرضاعة إلى جوار قبر أمه.

٥ - **ضريح أبي بكرة أحد أصحاب الرسول ﷺ**.

٦ - **قبر أنس بن مالك خادم خاتم النبيين ﷺ** على بعد أميال من البصرة وتتعذر زيارته بسبب الوحوش الضارية.

٧ - **قبر الحسن بن أبي الحسن البصري**: من التابعين الكرام.

٨ - **قبر محمد بن سيرين**: مفسر الأحلام المعروف.

---

(١) يقول ابن بطوطة: «ولاقبه عليه وله مسجد وزاوية فيها الطعام لأبناء السبيل»، (راجع تحفة النظار) ١١٧، القاهرة، ١٩٣٨.

٩ - **قبر محمد بن واسع.**

١٠ - **قبر عتبة الغلام.**

١١ - **قبر مالك بن دينار.**

١٢ - **قبر حبيب العجمي**: أحد الزهاد المعروفين.

١٣ - **قبر سهل بن عبدالله التستري.**

وعلى كل قبر من هذه القبور مكتوب اسم صاحبه، وكلها داخل سور البصرة القديم، والمسافة بينهم وبين المدينة الآن ثلاثة أميال، وفيها أيضاً قبور جماعة المسلمين الذين قتلوا في معركة الجمل، أما أمير البصرة في هذا الوقت فهو ركن الدين العجمي التبريزي، وقد أضافني وأحسن إليّ.

هواء البصرة سيئ، وألوان أهلها مصفرة وباهتة، حتى ضرب بهم المثل يقول أحد الشعراء يصف أترجه:

لله أترج غداً بيننا معبراً عن حال ذي عبرة

لما كسا الله ثياب الضنا أهل الهوى وساكني البصرة

وركبت من ساحل البصرة في صنبوق[١]، وهو قارب صغير، إلى الأبلة[٢]، وبينها وبين البصرة عشرة أميال، وطريق الأبلة بساتين متصلة ونخيل وأشجار مظلة عن اليمين والشمال، والباعة تحت ظلال الأشجار في كل مكان يبيعون الخبز والتمر والسمك واللبن[٣] والفواكه.

---

(١) صنبوق، سنبك، سنبوق، سفينة تشبه المهيلة لها صدر عال ودفتها في الوسط وحمولتها حوالي (٦٠) طغاراً من الطعام وسيرها في أطراف البصرة.
كاظم الدجيلي، السفن في العراق، مجلة لغة العرب، السنة ٢، ج٣، أيلول ١٩١٧، ص ص ٩٨ - ١٠٠.

(٢) أنظر هامش رقم (٥).

(٣) وردت في الأصل «والقهوة». ويبدو أن الأمر اشتبه على المؤلف فقرأها «والبن». ولذلك جرى تصحيحها حسب ما ورد في تحفة النظار ص١١٧ -القاهرة- ١٩٣٨.

بين البصرة والأبلة قبر سهل بن عبدالله التستري، فإذا وصل الناس في السفن إلى محاذاة القبر يشربون من ماء النهر تبركا، وكانت الأبلة مدينة كبيرة يأتيها تجار الهند وفارس، ولكنها الآن خربة، وعبارة عن قرية صغيرة، تدل آثار القصور والعمارات الشاهقة على سابق جمالها وعظمتها، ثم ركبنا في سفينة صغيرة تسمى «مغامس» لرجل من أهل الأبلة بعد المغرب، فوصلنا عبادان(١)، في الصباح، وعبادان قرية كبيرة، وتقع في سبخة مالحة وفيها مساجد ومعابد، وخانات للمسافرين، كثيرة، وتبعد عن الساحل ثلاثة أميال، وكانت عبادان سابقاً معمورة وميناء للبصرة، وترسو فيها جميع السفن التجارية القادمة من أي مكان، ولأنها تنتهي إلى البحر ولا عمارة خلفها فقد جاء **في أمثال العرب «ما وراء عبادان قرية»**(٢).

---

(١) من بين الآراء التي وردت بشأن تسمية هذه الجزيرة: رأي يقول عبادان نسبة الى عباد بن الحصين الحبطي الذى حصل عليها من حمران بن أبان مولى عثمان بن عفان الذى كان بدوره قد حصل عليها من عبد الملك بن مروان، وقيل إن الألف والنون اللاحقيين بآخر «عباد» هما من قبيل ياء النسبة عند أهل البصرة كقولهم يوسفان وسعيدان ومهيجران وحمدان نسبة الى يوسف وسعيد ومهجر وحمد.
ويطلق عليها أيضاً اسم جزيرة «الخضر» نسبة إلى ضريح يقع بالقرب من وسطها ينسب إلى الخضر الذي عاش في فترة معاصره للنبي موسى، وهو الذى جاء وصفه في القرآن الكريم ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾.
أن معظم سكان عبادان هم عرب من قبيلة كعب وينتمون الى بطن دريس كما ينتهي الى بطن نصار من القبيلة ذاتها معظم سكان الجزء الجنوبي من الجزيرة.
أنظر: لوريمر، دليل الخليج (الترجمة العربية) القسم الجغرافي، ج١، ص ص ٣-٤، ١١

Roger Stevene, The Land of Great Sophy, Third edition 1979, p.283.

مجلة لغة العرب، الجزء ٤، تشرين الأول سنة ١٩١١، ص ص ١٢٤ - ١٢٥.

(٢) للاستزادة مدن وحالة عربستان في العصور الإسلامية يمكن مراجعة: =

وعبادان الآن عبارة عن مقاطعة، والنخيل يغطي بعض سواحلها المهجورة جزئيًا، وتظهر آثار عماراتها القديمة في بعض الأماكن، وتقع على الساحل الشرقي من شط العرب في جزيرة الخضر، وتبعد عبادان اليوم عن البحر ما بين عشرة إلى إثني عشر فرسخاً، بينما كانت عبادان السابقة أرض مجدبة[1]، وقليلة الماء، وتجلب إليها الأرزاق من الأماكن المختلفة.

يقول أحد الشعراء بخصوص عبادان:

من مبلغا أندلسا أنني   حللت عبادان أقصى الثرى

أوحش ما أبصرت لكنني   قصدت فيها ذكرها في الورى

الخبز فيها يتها دونه   وشربة الماء بها تشترى[2]

وعلى الإجمال فإن البصرة كانت قد وقعت منذ سقوط الدولة العباسية وحتى عام ١٢٧٧هـ، تحت حكم سلاطين الجنكيزيين - والتيموريين - والإيلخانين وقرة قويونلو- وآق قويونلو - والصفويين - والعثمانيين - وحكام الحويزة - والزنديين - والعشائر العربية وبخاصة المنتفق -، وانتقلت (المدينة) من طبقة إلى أخرى، ومن يد إلى يد[3].

= Hubu al-Alam, A Persian Geography 372 A.H.
Translated and Explained by V. Minorsky, Second Edition, Edited by G.E. Bosworth London 1970, pp.129-131.

(١) لست أدري لماذا قيل أن أرض عبادان مجدبة وقليلة الماء، في حين أنها تقع في جزيرة الخضر، وأرضها خصبة وصالحة للزراعة، ويكثر الماء حولها. المؤلف.

(٢) إنتهى كلام إبن بطوطه.

(٣) لمعرفة أسماء الحكام الذين تعاقبوا على حكم العراق والبصرة يمكن مراجعة، ابن الغملاس، ولاة البصرة ومتسلموها ١٣٣٣هـ بغداد ١٩٦٧، ص ٥١ - ٦٤.

علماء وأدباء وفضلاء البصرة المشهورين من أصحاب السمعة والمآثر الجليلة

أبو عبدالله المحاسبي البصري:

كان قد اشتهر بأنه أحد أرباب الحقيقة وعلماء الطريقة والزهاد، وقد ألف كتباً في أصول الزهد، منها كتاب «الرعاية»، بلغ أرثه عن أبيه سبعين ألف درهم، فلم يأخذ منها شيئاً لأن أباه كان يقول بالقدر، فلم ير لنفسه مسوغاً الارث وقال: صدق رسول الله ﷺ حيث قال: «لا يتوارث أهل ملتين شتى»، في حين أن الرجل كان بحاجة إلى درهم واحد، ومن كلامه: «العقل نور الغريزة، مع التجارب يزيد ويقوى بالعلم والحلم»، وكان يقول: فقدنا ثلاثة أشياء: حسن الوجه مع «العفة» وحسن القول مع «الأمانة» وحسن الإخاء مع «الوفاء»، وتوفي سنة ٢٤٣هـ.

الحسن البصري:

أحد التابعين الكرام والعلماء العظام، كان أبوه غلاما لزيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنهما، وأمه «خيرة»: جارية لأم سلمه زوجة الرسول الأكرم ﷺ، كان أبو عمرو بن العلاء يقول: لم أر أفصح من الحسن البصري والحجاج بن يوسف الثقفي، فسئل: وأيهما كان أفصح؟ قال: الحسن البصري.

وعلى الإجمال، كان الحسن أجمل أهل البصرة، وقد نشأ وترعرعَ (بوادي القرى)[1]، وكان معاصراً للشعبي ومحمد بن سيرين المعبر، وأكثر كلامه حكمة وبلاغة، ويرد ذكر الحسن البصرى كثيراً في كتب السير الإسلامية، ولكن اكتفى بهذا القدر من سيرته رغبة بالاختصار: توفي في أول رجب سنة ١١٠هـ في البصرة، وسار جميع أهل المدينة في جنازته، وأودعوه التراب في غاية الاحترام والإجلال، ولم يحضر جنازته محمد بن سيرين بسبب مرضه، ومات بعده بمائة يوم، وسيرد ذكره في موضعه.

الخليل بن أحمد الفراهيدي:

كان من أئمة علم النحو، وأستاذ سيبويه المعروف، كان رجلاً عالماً عاقلاً حسن السيرة، يعيش في غاية العفة والقناعة، دائم الاحتراز من أصحاب الدنيا، فلم يكن يمد إصبعاً إلى مائدة غني، بل كان يدبر أمر معاشه براتب هزيل كان يأخذ من سليمان بن حبيب بن المهلب وإلى فارس والأحواز، وعندما استدعى سليمان خليلا إليه، أجابه خليل بهذه الأبيات، قال:

أبلغ سليمان أني عنه في سعة — وفي غنى غير أني لست ذا مال
سخا بنفسي أني لا أرى أحداً — يموت هزلًا ولا يبقى على حال
الرزق عن قدر لا الضعف ينقصه — ولا يزيدك فيه حول محتال
والفقر في النفس لا في المال تعرفه — ومثل ذلك الغني في النفس لا المال

فلم يقع جواب الخليل هذا موقعاً حسناً عند سليمان، فقطع مرتبه، ولكن المنع والعطاء عند الخليل ذي الهمة سواء، فقال هذين البيتين:

---

(١) وادي القرى: وادي بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القرى ياقوت الحموى معجم البلدان، ج٥، بيروت ١٩٧٥، ص ٣٤٥.

أن الذي شق فمي ضامن للرزق حتى يتوفاني
حرمتني مالاً قليلاً فما زادك في مالك حرماني

فلما وصل البيتان إلى سمع سليمان، كتب رسالة إلى الخليل يعتذر، ويعيد إليه مرتبه مضاعفاً، عند ذلك كتب إليه الخليل هذين البيتين لائماً وموبخاً:

وزلة يكثر الشيطان أن ذكرت منها التعجب جاءت من سليمان
ولا تعجبن لخير زل عن يده فالكوكب النحس يسقي الأرض أحياناً

ولما رأى الخليل أن إقبال الناس على تلميذه سيبويه أكثر من إقبالهم عليه، وأن رئاسة النحو سوف تختم به، اخترع علم العروض وحصره في خمس دوائر[1]، يستخرج منها خمسة عشر بحراً، وزاد الأخفش عليها بحراً آخر هو المعروف ببحر الخبب، وقد تباحث الخليل ذات ليلة مع عبدالله بن المقفع حتى الصباح، فلما افترقا عن بعضهما سئل الخليل: كيف وجدت إبن المقفع؟ قال: وجدته رجلاً علمه أكثر من عقله.

وسئل ابن المقفع، كيف رأيت الخليل؟ فقال: رأيته رجلاً عقله أكثر من علمه.

ومن تصانيف الخليل كتاب العين في اللغة وهو مشهور جدًّا، وكتاب العروض وكتاب الشواهد، النقط والشكل، وكتاب النغم، وكتاب في العوامل.

وكان للخليل ولد فظ ومغرور، جاء ذات يوم قرب أبيه فرآه يقطع

---

(١) للاستزادة يمكن مراجعة البحث القيم الذي قدمه الدكتور صاحب أبو جناح الى مهرجان المربد (١٩٧٤) بعنوان من أعلام البصرة سيبويه، هوامش وملاحظات حول سيرته وكتابه، بغداد، ١٩٧٤. ويذكر الدكتور صاحب أبو جناح هذه قضية لم يردها أحد في كتب الطبقات ولا عرف أن سيبويه تصدى للقراء على عهد شيخه الخليل، بل كان ذلك بعد وفاته.

بيت شعر حسب أوزان العروض، فخروج وقال للناس: تعالوا وانظروا فقد جن أبي، فدخل الناس على الخليل وأخبروه أن إبنه نسبه الجنون إليه، فنظر الخليل إلى إبنه وخاطبه بهذين البيتين:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني أو كنت تعلم ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتني وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

وكان من تلاميذه النضير بن شميل، ومؤرج السدوسي الراوية، ويقال أن الخليل كان كثير الترديد لبيت الأخطل:

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد خيراً يكون لصالح الأعمال

ويقال أن أبا الخليل كان أول شخص يسمى بأحمد بعد الرسول ﷺ.

والخلاصة، فللخليل كثير من عبارات الحكم، ولد سنة ١٠٠هـ، وتوفي سنة ١٧٠ أو ١٧٥هـ، ومن شعره هذا البيت.

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

أبو زيد الأنصاري اللغوي:

كان من أئمة الأدب، وذا باع طويلة في اللغة، وروايته موثوقة لدى الجميع، وله مصنفات في العلوم مفيدة، منها: كتاب القوس والترس، وكتاب الإبل، وكتاب خلق الإنسان، وكتاب المطر، وكتاب المياه، وكتاب اللغات، وكتاب النوادر، وكتاب الجمع والتثنية، وكتاب بيوتات العرب، وكتاب تخفيف الهمزة، وكتاب القضيب، وكتاب الوحوش، وكتاب الفرق، وكتاب فعلت[1]، وأفعلت، وكتاب غريب الأسماء، وكتاب الهمزة، وكتاب المصادر.

---

(١) أن الأعمش هو أحد النحاة المشهورين والمعروف أن الأعمش ليس نحويًا وانما هو مقرىء يراجع أيضاً، أبو حاتم السجستاني، فعلت وأفعلت، حققه ودرّسه الدكتور خليل إبراهيم العطية، البصرة ١٩٧٩، ص ٧٢.

يقال أنه كان مرة في مجلس درس شعبة بن الحجاج المحدث، وقد مل شعبه من أملاء الحديث، فرفع رأسه، فرأى أبا زيد في آخر الناس فدعاه إليه، وأنشغلا بحديث الأخوان وقراءة الأشعار، فقال أحد طلاب الحديث: يا أبا بسطام، لقد قطعنا مسافات بعيدة[1]، وطويلة على ظهور الجمال لنسمع منك أحاديث الرسول ﷺ، كثيراً، وقال: أيها الناس، أنني أعلم بما هو خير لي.

والخلاصة، فقد توفي أبو زيد في البصرة سنة ٢٥١هـ، ويقول بعضهم سنة ٢١٤، وسنة ٢١٦، وعاش حوالي مائة سنة.

أبو عمرو أحد القراء السبعة المشهورين:

كان أعلم الناس بقراءة القرآن وآداب العرب وبشعرهم، وفي النحو يأتي في الطبقة الرابعة بعد أمير المؤمنين عليه السلام، يقول الأصمعي:

سمعت عن أبي عمرو أنه كان يقول: «ما تعلمته وحفظته من النحو لا يعرفه الأعمش ولو كتب لما استطاع حمله.

ويقول الأصمعي أيضاً: سألت أبا عمرو ألف مسألة فأعطاني أجوبتها مع ألف برهان «وكان أبو عمرو مقدماً جدًّا في عهد الحسن البصري، ويقول أبو عبيدة: أبو عمرو أعلم الناس بعلوم العربية والآدب والشعر والقرآن. والكتب التي كتبتها عن فصحاء العرب تملا بيته من الأرض حتى قريب السقف «وقد سلك أبو عمرو بعد ذلك طريق الزهد والتقشف، ورمى بجميع تلك الكتب بعيداً عنه لوم يسبق له شيء إلا ما كان يختزنه في صدره، وكانت جميع أخباره ورواياته عن الأعراب الذي أدركوا الجاهلية، يقول الأصمعي: حضرت مجلس أبي عمرو عشر

---

(١) يراجع النص في كتب الطبقات أو في مجالس العلماء للزجاجي.

سنوات، لم أسمعه يستشهد ببيت شعر إسلامي واحد، ويقول الفرزدق في حق أبي عمرو:

ما زلت أغلق أبواباً وأفتحها حتى أتيت أبا عمرو بن عمار

وعندما كان يدخل الشهر المبارك (يعني رمضان)، لم يكن أبو عمرو يقرأ الشعر حتى تنقضي أيام الصيام، وذات يوم قرر لنفسه درهمين مصروفاً، فاشترى بأحدهما إبريقاً جديداً لشرب الماء كان يشرب به الماء طول ذلك النهار ثم أعطاه لأهله، واشترى بالدرهم الثاني ريحاناً كان يشمه، وفي المساء أعطاه لجاريته وقال: جففي هذا واسحقيه مع الاشنان[1]، ويقول بعضهم أن «أبا عمرو» هو اسم له وكنية أيضاً، ويقول آخرون أن اسمه كان «زبان».

والمهم أن أبا عمرو أحد القراء السبعة المشهورين، وهم: نافع، وإبن كثير، وأبو عمرو، وإبن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي.

وقد اورد جد «مؤلف هذه الأوراق» في رسالته المنظومة الموسومة بـ«رسالة التجويد» أسماء القراء المذكورين مع اسم الولاية الني ينسب إليها كل منهم في هذه الأبيات:

- نافع من أرض المدينة، صار ظهيرا.
  وجاء من مكة ابن كثير.
- ولقي أبو عمرو من البصرة قواما.
  وجاء إبن عامر من بلاد الشام.
- عاصم وحمزة والكسائي أيضاً كلهم.
  من ديار الكوفة، وصاروا أعلاماً.

ولد أبو عمرو في مكة المكرمة سنة ٧٠هـ، وتوفي بالكوفة سنة ١٠٤هـ.

---

(١) الأشنان: نبات معروف يغسلون به الثياب. المؤلف.

أبو عثمان عمرو بن بحر البصري المعروف بالجاحظ:

كان من كبار علماء عصره، وله تصانيف في كل فن، وكتب مقالة في أصول الدين، وتنسب إليه فرقة من المعتزلة تعرف بالجاحظية، وهو تلميذ أبي إسحاق إبراهيم بن سيار البلخي[1] وخال يموت بن المزرع البصرى الذي سيأتي ذكره في مكانه.

ومن تصانيف الجاحظ كتاب «حياة الحيوان»، وهو غني عن الوصف لعظيم شهرته، وكتاب «البيان والتبيين» كتبه في الأدب، ويدل هذان الأثران النفيسان على توقد ذهنه وسعة إطلاعه، ولكنه رغم غزارة العلم هذه وجودة الاقريحة كان قبيح الوجه جدًّا، وقد لقب بالجاحظ لأن مقلتيه قد برزتا إلى الأمام أكثر من الحد الطبيعي، والجاحظ بالعربية يعني البروز، ويضرب المثل في القبح بالجاحظ، فيقال: «أقبح من الجاحظ».

وقد أصيب الجاحظ في أواخر عمره بمرض الفالج، فكانوا يدلكون نصفه الأيمن بالكافور والصندل لشدة حرارته، بينما لو قصوا نصفه الأيسر بالمقص لما أحس به لشدة برودته، وكان يقول في حالة مرضه: لقد تعايشت الأضداد في جسدي بسلام، لو تناولت شيئاً مبرداً لأذى قدمي، ولو تناولت شيئاً مسخناً لأذى رأسي، وكان يقول: أنني مفلوج في الناحية اليسرى حتى لو قطعوا لحمي بالمقص لما أحسست، ومصاب بالنقرس في الناحية اليمنى فلو مرت ذبابة من فوقي لتألمت، ولدي في المثانة حجر يمنعني عن الإدرار، والأسوأ من كل شيء، وسبب كل شقائي ومحنتي هو سن السادسة والتسعين، وكان يقول هذا الشعر:

أترجو أن تكون وأنت شيخ ... كما قد كنت أيام الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب ... دريس كالجديد من الثياب

---

(١) أبو اسحاق المعروف بالنظام من المتكلمين المشهورين. (المؤلف).

يقول أحد البرامكة: أرسلني شخص إلى السند، فبقيت هناك مدة، ثم طلبني، وكنت قد كسبت هناك ثلاثين ألف دينار، فخفت أن يطمع أحد بهذه الأموال، فقدمت الذهب ليوضع في عشرة آلاف حبة (أهليج)، في كل حبة ثلاثة مثاقيل، وركبت السفينة، وعندما وصلت البصرة، سمعت أن الجاحظ مريض، فاردت رؤيته قبل موته، فأسرعت إليه، فوصلت إلى باب منزل حسن، وطرقت الباب، فخرجت خادمة شاحبة اللون، وقالت: من أنت؟ قلت: رجل غريب، أرغب رؤية الشيخ، فذهبت الخادمة وأخبرته، فسمعته كان يقول للخادمة: قولي لهذا الشخص: «ما تصنع بشق مائل ولعاب سائل ولون حائل»، قلت للخادمة: يجب أن أقابله، وعندما أوصلت إليه رسالتي في المرة الثانية، قال: هذا رجل جاء إلى البصرة وسمع بمرضي ويريد أن يقابلني قبل موتي حتى يقول أنا رأيت الجاحظ، ثم أذن لي، فدخلت إليه وسلمت عليه، فرد السلام بلطف، وسأل: من أنت؟ فعرفته بنفسي، فقال: يغفر الله لأبائك وأجدادك الكرام، كان عهدهم في الواقع ربيع الزمان، فلتهنأ أرواحهم، فدعوت له وعند ذلك نهضت وانطلقت، فلما وصلت قرب الدهليز قال: أيها الشاب ألم تر مفلوجاً كان الأهليلج نافعاً له؟ قلت لا، قال: هذه الأهليلجات التي معك فيها منفعة لي، فقلت: نعم، وخرجت وأنا أتعجب كيف عرف بأمرها مع تكتمي، وأرسلت له مائة حبة أهليلج، ونقل أبو الحسن البرمكي هذين البيتين عن الجاحظ:

وكان لنا أصدقاء مضوا　　تفانوا جميعاً وما خلدوا.

تساقوا جميعاً كؤوس المنون　　فمات الصديق ومات العدو.

مات الجاحظ في البصرة في المحرم سنة ٢٥٥، وقد عاش تسعين سنة ونيفاً.

أبو محمد القاسم بن علي الحريري البصري «صاحب المقامات»:

كان من فضلاء زمانه، لا يعادله أحد في اللغة العربية وفنون الأدب، وكل من ألقى النظر على مقامات الحريري يدرك مقدار فضل مؤلفها وغزارة علمه، يذكر ابنه أبو القاسم عبدالله سبب تأليف المقامات فيقول: كان والدي يجلس في المسجد في محلة «بني حرام»، فدخل رجل اشعث عليه رداءان، وكانت تبدو عليه آثار السفر، وكان فصيحاً جيد التعبير في كلامه جدًّا، فسأله قوم: من أين أنت؟ فقال الشيخ: من سروج، فسألوه عن كنيته، فقال: أبو زيد، فأنشا والدي في ذلك الوقت المقامة المعروفة بالحرامية وهي المقامة الثامنة والأربعون، ونسبها إلى أبي زيد، وجعل موضوع مقامته أبا زيد المذكور، نفسه، واشتهرت تلك المقامة، ووصلت إلى سمع شرف الدين أبي نصر أنوشروان الكاشاني وزير الخليفة المسترشد بالله، فاستحسنها جدًّا، وأشار على والدي أن يكتب في المضمون مقامات أخرى، فأوصل والدي المقامات إلى خمسين مقامة، ويشير الحريري في خطبه المقامات إلى الوزير المذكورة، حيث يقول: «فإشارة من إشاراته حكم وطاعة غنم».

ويقول إبن خلكان: رأيت في بعض شهور سنة ٦٥٦هـ، في القاهرة (مصر) نسخة مقامات الحريري وكانت كلها بخط المؤلف، وكان الحريري قد كتب بخطه في ظهرها أنه صنف المقامات للوزير جمال الدين عميد الدولة أبي على بن الحسين بن أبي العز وزير المسترشد بالله، والمؤكد أن هذه الرواية أصلح من الرواية الأولى، لأنها بخط المؤلف نفسه، وأبو زيد السروجي الذي نسبت المقامات إليه هو مطهر بن سلام، يقال أنه كان من أهل البصرة ومن علماء النحو، وأن الحريري قد تتلمذ في البصرة عليه، وهذا الذي جعله الحريري في مقاماته راوية وسماه الحرث بن همام كان كناية عن نفسه هو، وقد أخذ الإسمين هذين من حديث شريف للرسول ﷺ، أذ يقول: كلكم حارث وكلكم همام»، والحارث هو الكاسب

والهمام (بتشديد الميم الوسطى): من يهتم بعمله كثير أن فكل شخص حارث وهمام لأن كل شخص كاسب، ويهتم كثيراً بعمله.

وقد كتبت شروحات كثيرة على مقامات الحريري، بعضهم أوجز وبعضهم أطنب، والحريري يعتبر نفسه من ربيعة بلاد فارس، وكان عندما يطأطئ رأسه مفكراً ينتف كثيراً من لحيته، وقد سكن في قرية «مشان» (مشان قرية كانت بأعلى البصرة فيها نخيل كثير، وموصوفة بسؤ هوائها)، وأصل الحريري من هذه القرية، ويقال أنه كان يملك ثمانية عشر ألف نخلة في تلك القرية، ولذلك كان من الأثرياء، وللحريري غير المقامات مؤلفات أخرى من ضمنها «درة الغواص في أوهام الخواص»، و«ملحة الأعراب» ومنظومة في النحو مع شرحها، وكتاب حوى منشآت وأشعار كثيرة غير الأشعار التي وردت منها:

قال العوازل ما هذا الغرام به   أما ترى الشعر فيد خديه قد نبتا[1]

فقلت والله لو أن المفند لي   تأمل الرشد في عينيه ما ثبتا

ومن أقام بأرض وهي مجدبة   فكيف يرحل عنها والربيع أتى

ونظم قصائد ضمنها كثيراً من الجناس، ويقال أنه كان قبيحاً كريه المنظر، حتى أن رجلاً غريباً جاء لرؤيته والإستفادة منه، فلما وقع نظره على الحريري استهان به واحتقره، فانتبه الحريري لهذا الأمر، وعندما طلب الغريب أن يملي عليه شيئاً، قال له أكتب:

ما أنت أول سار غره القمر   ورائد أعجبته خضرة الدمن

فأختر لنفسك غيري أنني رجل   مثل المعيدى فأسمع بي ولا ترني

فخجل ذلك الرجل، وذهب، وكانت ولادة الحريري في سنة ٤٤٦هـ، ومات في حي بني حيرام بالبصرة سنة ٥١٦هـ، ونسبه الحريري

(١) وردت الكلمة الأولى «قالوا» وهو خطأ واضح فجرى تصحيحها.

إلى «حرام» (حرامي) كانت بسبب هذا الحي، وبنو حرام قبيلة عربية اختاروا النزول في هذه الناحية، فاشتهرت الناحية باسم بني حيرام، والحريري نسبه إلى الحرير والشتغال به.

أبو بكر محمد بن سيرين المعبر:

كان أبوه سيرين غلام أنس بن مالك ومن أسرى ميسان، (وميسان كانت إحدى قرى البصرة)، وكان يصنع فيها الخمر، وكان محمد من العلماء المشهورين وله مهارة بالغة في تعبير الأحلام، وقد ألف كتاباً في تعبير الأحلام اشتهر بإسمه، ونسخه كثيرة.

ولد إبن سيرين قبل نهاية خلافة عثمان بن عفان بسنتين، وكان إبن سيرين أصم، ومهنته بزازاً، وقد سجنوه بسبب الديون التي عليه، وقد أنجب ثلاثين ولداً ذكراً وأحد عشر بنتاً من إمرأة واحدة، ولكن لم يبق له من كل هؤلاء سوى عبدالله، وعندما توفي بن سيرين كان عليه (٣٠) ألف درهم ديناً، فسدد إبنه عبدالله دينه.

وكان محمد إبن سيرين كاتب أنس بن مالك في فارس، ويقال أن أنس بن مالك أوصى عندما حضرته الوفاة أن يغسله إبن سيرين، وكان إبن سيرين في ذلك الوقت مسجوناً، فأخبر الحاكم بأمره، فأذن له، فخرج إبن سيرين من السجن، فغسل أنس إبن مالك وكفنه وصلى عليه، ثم عاد إلى السجن ولم يذهب إلى منزله.

كان محمد إبن سيرين من أصدقاء الحسن البصري، ولكنه لم يحضر جنازته بسبب مرضه، وقد عاش بعد الحسن البصري مائة يوم، ومات يوم الجمعة التاسع من شوال سنة ١١٠هـ، في مدينة البصرة.

القاضي أبو بكر بن محمد بن الطيب المعروف بـ«الباقلاني البصري»:

كان تابعاً لمذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، يؤيد عقائده ويدعمها، وقد اختار الإقامة في بغداد، وكتب تصانيف كثيرة في علم الكلام، كان عالماً مشهوراً، لا نظير له في العلم والفضل، حاد الذكاء، وحاضر الجواب، وفي المناظرة كثير الأطناب، وهو من رؤساء مذهبه، والباقلاني نسبة إلى «باقلي» وهو معروف، والياء ياء النسبة وأضيف إليها نون.

توفي في السابع من ذي القعدة سنة ٤٠٣هـ، ببغداد فرثاه أحد شعراء زمانه بهذين البيتين:

أنظر إلى جبل تمشي الرجال به   وانظر إلى القبر ما يحوي من الصلف
وانظر إلى صارم الإسلام منغمداً   وانظر إلى درة الإسلام في الصدف

أبو الحسن محمد بن الطيب البصري المتكلم:

هو أحد أئمة مذهب المعتزلة وفحول علمائه، كان عالماً نحريراً حاد الذكاء والفهم، سكن في بغداد وكتب تصانيف حسنة في أصول الفقه من ضمنها «المعتمد» وهو كتاب كبير، اقتبس منه فخر الدين الرازي كتاب المحصول، وله أيضاً كتاب «تصفح الأدلة» في مجلدين، و«غرر الأدلة» في مجلد كبير، وشرح الأصول الخمسة، وكتاب في الإمامة، وغير ذلك من التواليف في أصول الدين، وأخذ الناس نصيباً كبيراً من كتبه.

ويطلق على هذا الشخص لفظ «متكلم» لأنه يعرف «علم الكلام» وعلم الكلام هو على أصول الدين، ويسمونه «الكلام» لأن أول خلاف وقع في الدين كان حول كلام الله ﷻ، وهو: كلام الله مخلوق أو غير مخلوق، وتجادل الناس في هذا الأمر، وسموا هذا النوع من العلم «علم الكلام» تخصيصاً، على الرغم من أن جميع العلوم تنتشر بوساطة

الكلام (اللغة والحديث)، وتوفي أبو الحسن يوم السبت الخامس من ربيع الثاني سنة ٤٣٦هـ، في بغداد.

محمد بن عبيدالله العتبي الشاعر البصري المشهور:

يتصل نسبه بأبي سفيان صخر بن حرب، وكان شاعراً أديباً وفاضلاً لبيباً، مطلعاً على أخبار العرب ونوادرهم، من تصانيفه كتاب «الخيل» وكتاب «أشعار الأعاريب» و«أشعار النساء المكروهات بعد أن كن محبوبات»، وكتاب «الأخلاق» وغير ذلك.

يقول العتبي: سمعت أعرابيًّا كان يقول لرجل: «أن فلاناً وأن ضحك لك فإن عقاربه تسري إليك، فإن لم تجعله عدواً في علانيتك فلا تجعله صديقاً في سريرتك» ومن أشعار العتبي:

رأين الغواني الشيب لاح بعارضي ... فأعرض عني بالخدود النواضر
وكن متى أبصرتني أو سمعن بي ... سعين فرقعن النوى بالمحاجر
فإن عطفت عني[1] أعنة أعين ... نظرن بأحداق المها والجآذر
فأني من قوم كريم ثناؤهم ... لإقدامهم صيغت رؤوس المنابر
خلائف في الإسلام والشرك قادة ... بهم وإليهم فخر كل المفاخر.

وله هذان البيتان أيضاً قالهما في رثاء بعض أولاده، وهما مشهوران جدًّا:

أضحت بخدي للدموع رسوم ... أسفاً عليك وفي الفوائد كلوم
الصبر يحمد في المواطن كلها ... إلا عليك فأنه مذموم.

كان العتبي من فحول الشعراء المبدعين، وتوفي سنة ٢٢٨هـ.

---

(١) وردت علي في الأصل.

أبو فيد مؤرج السدوسي النحوي البصري:

درس اللغة العربية على الخليل بن أحمد، وأخذ الحديث عن شعبة بن الحجاج وأبي عمرو بن العلاء، يقول: «عندما قدمت من البادية لم أكن أعرف القياس في العربية، وكانت معرفتي طبيعية، وأول مكان تعلمت فيه القياس كان في حلقة أبي زيد الأنصاري بالبصرة».

عندما دخل الأخفش سعيد بن مسعدة على محمد بن المهلب، سأله محمد: من أين أنت؟ فقال الأخفش: جئت من عند يحي بن أكثم القاضي، فسأله: فماذا سمعت؟ قال الأخفش: سألني يحي من هو الشخص الثقة والمقدم من أصحاب الخليل بن أحمد، وفي أي علم كان محل الثقة؟ قلت النضر بن سميل وسيبويه ومؤرج السدوسي، وعلى الإجمال فقد غلب الشعر واللغة على مؤرج السدوسي، وله تصانيف من ضمنها كتاب الأنواء، وهو مؤلف حسن، وكتاب غريب القرآن، وكتاب جماهير القبائل، وكتاب المعاني، وغيرها، وقد ذهب مؤرج مع الخليفة المأمون من العراق إلى خراسان، واختار الاستيطان في مرو، وذهب إلى نيسابور حيث أقام مدة، ومات سنة ١٩٥هـ.

فيد على وزن بيعنى زهر الزعفران، واسم السدوسي مرشد، ومؤرج لقبه، ومرثد من أسماء الأسد.

أبو القاسم نصر بن أحمد البصري، الشاعر المشهور «المعروف بالخبز أرزى»:

كان رجلاً أميًّا لا يعرف القراءة ولا الكتابة، كان له مخبز بالمريد (البصرة) يصنع فيه خبز الأرز، وينشد الغزليات الفاتنة، وكان الناس يزدحمون حول دكانه لسماع أشعاره، ويعجبون به، وكان أبو الحسين محمد بن محمد المعروف بإبن لنكك - وهو شاعر بصري مشهور -

على مكانته وجلالة قدره يجلس في دكان الخبز أرزى ليسمع شعره، فجمع أشعاره ورتبها له في ديوان.

كثير من المؤرخين والأدباء ذكروا أرزى، أن ابن لنكك ذهب مرة في أحد الأعياد مع جماعة من الأدباء إلى دكان الخيز أرزى، وكان نصر مشغولاً بصناعة الخبز، فباركوا له بالعيد وسألوه عن أحواله، وجلسوا بقربه، وكان نصر قد وضع كثيراً من حطب النخل تحت المقلى، وأخذ يشب النار، فلم يستطع القوم إحتمال كثرة الدخان فنهضوا، فقال الخبز أرزى لإبن لنكك: متى أراك ثانية؟ فقال: إبن لنكك على سبيل الفكاهة: عندما تتسخ ثيابي، إذ لما كان ذلك اليوم عيداً فقد لبس إبن لنكك ثياباً جديدة بيضاء نظيفة.

وذات يوم مرَّ إبن لنكك مع جماعة من أمام دكانه وذهبوا إلى منزل أحد أصدقائهم، فقال إبن لنكك: لن يغمض نصر عن تصرفنا والأفضل أن نبادره فنقول شيئاً قبل أن يقول طلب داوة وورقة وكتب هذه الأبيات:

لنصر في فؤادي فرط حب — أنيف به على كل الصحاب
أتيناه فبخرنا بخوراً — من السعف المدخن للثياب
فقمت مبادراً وظننت نصراً — أراد بذاك طردي أو ذهابي
فقال متى أراك أبا حسين — فقلت له: إذا إتسخت ثيابي

وأرسل الأبيات إلى نصر الخبز أرزى، فأجاب نصر عليها بقوله:

منحت أبا الحسين صميم ودي — فداعبني بألفاظ عذاب
أتى وثيابه كقتير شيب — فعدن له كريعان الشباب
فقلت متى أراك أبا حسين — فجاوبني إذا اتسخت ثيابي
فإن كان الترفه فيه خير — فلم يكن الوصي أبا تراب

ومن أشعار نصر في الغزل:

باتَ الحبيبُ منادمي والسكرُ يصبغُ وجنتيه
ثمّ اغتدى وقد ابتدا صنعَ الخمارِ بمقلتيه
وهبتْ له عيني الكرى وتعوضتْ نظراً إليه

أبو الحسين النضر بن شميل النحوى البصري:

هو عالم ذو فنون، وكنز خواطره مشحون بجواهر المعرفة، كان من الرجال الثقاة، وعلى إطلاع واسع بالفقه والحديث والأخبار والشعر والآداب العربية، وكان من رفاق الخليل بن أحمد، وقد ذكره أبو عبيدة في كتاب «مثالب أهل البصرة» يقول:

«واجه النضير بن شميل في البصرة إضطراباً وضيق ذات اليد، فعزم على الرحيل إلى خراسان، وعندما خرجَ جاء لتوديعه ما يقرب من ثلاثة آلاف إنسان، وكلهم كان نحويًّا أو محدثاً أو لغويًّا أو عروضياً أو أديباً، وعندما وصل النضر بن شميل المربد جلس وقال: يا أهل البصرة، لا يهون عليّ فراقكم، والله لو كان يعود عليّ في اليوم كيل باقلاء لما فارقتكم، فلم يخرج شخص واحد من بين ذلك الجمع الغفير يأخذ في عهدته هذا الطلب اليسير، ويرد النضير عن السفر.

ذهب النضر إلى خراسان، فأدخر هناك مدخرات كثيرة، وكانت مرو دار إقامته، وله مع المأمون فيها قصص، فقد كان ينادمه ويجالسه، فقد رووا أن النضير كسب بحر واحد ثمانين ألف درهم.

وللنضر تصانيف كثيرة، منها كتاب الصفات من خمسة أجزاء يبحث فيه عن كل شيء، وكتاب السلاح، وكتاب خلق الفرس، وكتاب المعاني، وكتاب غريب الحديث، وكتاب المصادر، وكتاب المدخل، وغيرها،

ومات في سلخ ذي الحجة سنة ٢٠٤هـ بمرو. ويذكر بعضهم وفاته في أول ذي الحجة.

وقد ولد النضر في مرو، وتربى في البصرة، ولهذا السبب نسب إلى البصرة، وعد واحداً من فضلائها.

أبو حذيفة واصل بن عطاء المعتزلي:

كان من كبار العلماء وفحول المتكلمين، وكان يلفظ الراء مثل الغين، يقول أحد العلماء في أحد مؤلفاته أن واصل بن عطاء كان أحد عجائب الزمن، فلأنه كان ألثغ في لفظ الراء، ولا يستطيع أداءها من مخرجها، لم يكن يلفظ كلمة تحتوي على الراء قط، على الرغم من أن الراء تظهر في كلمات كثيرة، وذلك كان لمقدرته على الكلام.

كان واصل بن عطاء حاضراً حلقة درس الحسن البصري، عندما برز الخلاف بين العلماء، فحكم الخوارج بتكفير مرتكب الكبيرة، وأدعت جماعة أن المذنبين مؤمنون وأن يكونوا فاسقين بارتكاب الكبائر، اتخذ واصل بن عطاء من بينهم طريقاً خاصاً به وقال، فاسق هذه الأمة ليس مؤمناً وليس كافراً ولكنه في منزلة بين المنزلتين، فلم يستحسن الحسن البصري هذا الرأي، وأبعد واصلاً عن مجلسه، فاعتزل واصل بن عطاء أولئك الجماعة، ولهذا السبب سمي وجماعته بالمعتزلة.

وقد صار واصل في إهماله لحرف الراء مضرب المثل، وأورد الشعراء هذا المعنى كثيراً في شعرهم، يقول أحد الشعراء متغزلاً بحبيب ألثغ:

أجلعت وصلي الراء لم تنطق به   وقطعتني حتى كأنك واصل

ويقول آخر:

أعد لثغة لو أن واصل حاضر   ليسمعها ما أسقط الراء واصل

ويقول آخر:

فلا تجعلني مثل همزة واصل فتلحقني حذفاً ولا راء واصل[1].

وكان واصل طويل العنق جدًّا، لدرجة أنهم كانوا يعيبون ذلك عليه، وكان بينه وبين الشاعر بيار بن برد عداوة ومنافسة، ومن تصانيف واصل كتاب أصناف المرجئة وكتاب التوبة، وكتاب المنزلة بين المنزلتين، وكتاب الخطبة وهو خال من حرف الراء، وكتاب معاني القرآن، وكتاب الخطب في التوحيد والعدل، وكتاب ما جرى بينه وبين عمرو بن عبيد، وكتاب السبيل إلى معرفة الحق، وكتاب في الدعوة، وكتاب طبقات أهل العلم والجهل وغيرها.

أخبار واصل كثيرة، كانت ولادته سنة ثمانين للهجرة في طيبة (المدينة) ومات سنة ١٨١هـ.

يحي بن يعمر النحوي البصري:

كان من التابعين الكرام ومن قراء البصرة، متبحراً في القرآن الكريم والنحو واللغة العربية، وقد درس النحو على أبي الأسود الدؤلي، اعتنق مذهب التشيع وقال بتفضيل أهل البيت، ذهب إلى خراسان ووصل إلى منصب القضاء في مرو، كان ذا موهبة شعرية، واشتهر بين علماء الإسلام، ومات سنة ١١٩هـ.

أبو بكر يموت بن المزرع:

هو إبن أخت أبي عثمان الجاحظ الذي مر ذكره، كان يموت رجلاً فاضلاً وأديباً، ذهب سنة ٣٠١ إلى بغداد وكان هرماً، وقد تحدث عنه جماعة من الأدباء والمؤرخين.

---

(١) وأصل الأولى اسم فاعل من وصل، وواصل الثانية واصل بن عطاء.

لم يكن يذهب «يموت» لعيادة مريض قط، إذ كان يخشى أن يتشاءموا من اسمه، وكان يقول: أنني أسير الإسم الذي وضعه أبي عليّ، عندما أذهب لعيادة مريض، أطلب الإذن بالدخول، وعندما يقال من هذا؟ كنت أقول أنا إبن المزرع ولا أذكر إسمي.

يقول الفقيه الشاعر منصور في مدح يموت:

أنت يحيى والذي يكسره   أن تحيا يموت
أنت صنو النفس بل أنت   لروح النفس قوت
أنت للحكمة بيت   لا خلت منه البيوت.

وكان ليموت إبن يسمى المهلهل ويلقب بأبي فضله وهو شاعر مجيد ذكره المسعودي في مروج الذهب، وليموت حكايات ونوادر كثيرة، وقد ذهب إلى مصر عدة مرات، يقال أنه مات سنة ٣٠٤ بالشام، وذكر بعضهم أن وفاته سنة ٣٠٣ في طبرية.

من أشعار مهلهل بن ليموت:

جلت محاسنه من كل تشبيه   وجل عن واصف في الناس يحكيه
النرجس الغض والورد الجني له   والإقحوان النضير النضر في فيه
أنظر إلى حسنه واستعن عن صفتي   سبحان خالقه سبحان باريه
دعا بألحاظه قلبي إلى عطب   فجاءه مسرعاً طوعاً يلبيه
مثل الفراشة تأتي ترى لهباً   إلى السراج فتلقى نفسها فيه.

أبو علي الحسين الشاعر البصري، «المعروف بالخليع»:

كان غلام إبن سليمان بن ربيعة الباهلي الصحابي، واصله من خراسان وكان شاعراً حسن الطبع مزاحاً ومتفنناً بأنواع الشعر، اتصل بالخلفاء وصار جليساً وأنيساً لهم، ولم يصل أحد من أقرانه إلى مرتبته إلا إسحاق بن إبراهيم الموصلي النديم الذي نال درجة عند الخلفاء قريبة

من درجته، وكان أول خليفة حظي أبو علي الخليع بصحبته هو محمد الأمين بن هارون الرشيد، إذ التحق به سنة ١٩٨، وقتل الأمين في تلك السنة نفسها، وظل الخليع نديم الخلفاء في خلواتهم وشاركهم في لهوهم حتى زمان المستعين بالله، ويعتبر من شعراء الطبقة الأولى، وقد وقعت بينه وبين أبي نواس حكايات حلوة ونوادر مستملحة، وقد لقب بالخليع لكثرة طرائفه وحبه للمزاح، تحدث عنه أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني، عاش ما يقرب من مائة عام، ومات سنة ٢٥٠هـ.

من أشعاره:

صل بخدى خديك تلق عجيباً　　من محان يحار فيها الضمير
فبخديك للربيع رياض　　وبخدي للدموع غدير

وله:

أيا من طرفه سحر　　ويا من ريقه خمر
وما أحسن في مثلك　　أن ينهتك الستر[1]
تجاسرت فكاشفتك　　لما غلب الصبر
فإن عنفني الناس　　ففي وجهك لي عذر

من المعروف أن البصرة كانت - مثل بغداد - قد وصلت إلى قمة رقيها وعمرانها في عهد دولة بني العباس، وبعد سقوط تلك الدولة، وتغلب سلاطين التتار على هذه الديار، ووقوع الثورات العظيمة، تقهقرت هذه المدينة الشهيرة يوماً بعد يوم، ولم تعد إلى مكانتها الأولى، ويقال أن تمدن هذه المدينة الشهيرة ومعارفها كانت محصورة في صدر الإسلام وزمان تألق دولة بني العباس وتلاشت بعد سقوط الدولة العباسية، وذلك لأن العلماء والفضلاء الذي تركوا اسماً حسناً في

(١) ورد في الأصل «وما أحسن من في مثلك» فجرى تصحيحه بحذف من.

التاريخ بسبب مؤلفاتهم الجليلة، وسجلوا آثاراً مفيدة في صحيفة الزمن كانوا كلهم من القرون الإسلامية الأولى، ومن ذلك التاريخ لم يظهر من البصرة أحد يكون صاحب مآثر علمية وأدبية، كما روى إبن بطوطة في «ذكر أحوال البصرة» من كلام قاضيها أنه لم يبق بالبصرة أحد يتقن علم النحو، على الرغم من أن هذا العلم كان من خصائص هذه المدينة، ويضرب المثل بنحاتها، ويقال أن المثل «**بعد خراب البصرة**» قد شاع في أوائل القرن السابع الهجري، وكان ذلك زمن تسلط ملوك التتار على هذه الديار، وقد خربت البصرة عندما كانت تحت نفوذ شيوخ المنتفق ولم يعد فيها خير بسبب ظلمهم واستبدادهم.

وأخذت هذه المدينة تتجه نحو العمران شيئاً فشيئاً منذ سنة ١٢٧٧هـ، عندما استولى ولاة الدولة العلية العثمانية على البصرة ونواحيها، وكفوا يد عشائر المنتفق نهائيًّا.

خراب البصرة
في زمن تسلط أعراب المنتفق

بعد موت كريم خان الزندى[1]، أسرع أخوه صيدق خان الذي كان قد استولى على البصرة[2]، بالذهاب إلى إيران، فانتهز مشايخ

---

(١) الزند، قبائل رعويه كانت تقطن سفوح فبال زكروس في قرى ملايير على طريق العراق، وهم فرع من عشائر اللاك، التي تتضمن أيضاً الكلهور والزنكنة والمافي والباجلان، وكان الزنديون يميزون أنفسهم عن كل من اللور الفيليه وعن أكراد اردلان، ودورهم لأول مرة في عهد الشاه عباس الصفوي (١٥٨٧ - ١٦٢٩) وتوحدوا تحت زعامة مهدى الشاه عباس الصفوي (١٥٨٧ - ١٦٢٩) وتوحدوا تحت زعامة مهدي خان الزند في عشرينات القرن الثامن عشر، واستطاع كريم خان الزند ان يحكم إيران في أعقاب الاضطرابات التي عمتها والتي دامت عدة سنوات بعد وفاة نادر شاه (١٧٤٧).

للاستزادة يمكن مراجعة:

John R. Perry, Karim Zanad, a history of Iran 1779, U.S.A. 1979.

(٢) حاصر البصرة عام ١٧٧٥ واستولى عليها عام ١٧٧٦ بعد حصار دام (١٤) شهراً دافع البصريون خلالها عن مدينتهم ببسالة نادرة رغم نقص الطعام وقلة الذخيرة عندهم. ويمكن الإطلاع على وصف يومي للحصار والقتال في كتاب برسونز، الذي كتبه على شكل يوميات لأنه كان مقيماً في البصرة وقتئذ.

Abraham Parsons, travels in Asia and Africa, London, 1808.

أنظر ايضاً لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج٤، ص ص ١٨٤٤ - ١٨٦٩.

المنتفق[1]، الفرصة في هذه الفترة، استولوا على البصرة ونواحيها، وفي تلك الأوقات، غالباً ما كان سلاطين آل عثمان يضعون حكم العراق العربي في أيدي أصحاب العباءات وكان هؤلاء بعيدين عن سياسة الملك، ولا يقدرون معنى نشر العدل والعناية بالرعية، وكان مشايخ المنتفق الجريئون في هذا الوقت أقوياء، فعبثوا في البلاد كيفما شاءوا، وكانت العمارة وشواطئ دجلة الشرقية والغربية أيضاً قد خضعت لمتغلبي قبيلة بني لام وألبو محمد.

فكانت عشائر المنتفق قد انتشرت في البصرة وقراها، وآذت الناس ففي موسم التمر كان كل فرد منهم يقتحم بستاناً ومعه زوجته وأطفاله وحيواناته، فيقوم هو وزوجته وأولاده بأكل التمر والفاكهة الأخرى ويفرطون في ذلك، بينما تقوم حيواناته بالتهام مزروعات البستان، ولا يقدر صاحب البستان على النطق بكلمة، وكان يتبقى لبعض الملاك شيء يسير وبعضهم يصبح صفر اليدين لا يملك شيئاً[2].

وكان سلوك أفراد عشائر المنتفق في المدينة لا يختلف عن سلوكهم في الريف، لذلك فقد ترك أغلب الناس أملاكهم وهاجروا إلى عربستان أو

---

(١) **وهم آل السعدون**، يذكر العزاوي بأنهم سادة حسنية قدموا إلى البصرة في القرن السابع للهجرة وتزعموا قبائل متفرقة في المنطقة، وظلوا يتناوبون مع الولاة المماليك حكم البصرة حتى عهد داود باشا (١٨١٧ - ١٨٢١) الذي استطاع أن يفرق بين الشيخ حميد بن ثامر وبين عجيل إبن أخيه، حيث دارت حرب أهلية بين الزعيمين شلت العشيرة على أثرها ردحاً طويلاً من الزمن.
لوريمر، القسم التاريخي، ج٤، ص ٣٧

(٢) علي ظريف الأعظمي، مختصر تاريخ البصرة، بغداد، ١٩٢٧، ص ص ١٣٨ - ١٣٩.
أورد المؤلف قصصاً عن تجاوزات العشائر على أهل البصرة لم نجد ضرورة لترجمتها.

إلى أماكن أخرى، وتخلى كثير من الملاكين عن أملاكهم نهائيًا خوفاً من هذه العشائر، وكانوا أحياناً ينكرون ملكيتهم خشية من التعدي عليهم، وفي هذا الوقت وصلت قيمة العقارات وبساتين النخيل إلى درجة متدنية من الأسعار، إذ لم يكن أحد يطلب شراءها، وصار جريب[(١)]، الأرض المزروعة بالنخيل بثمن (الآن) بمائة وخمسين ليرة[(٢)]، كان في ذلك الوقت بعشرة شلمية[(٣)]، بل وصلت إلى أقل من ذلك، ولأهل البصرة بعض الذكريات عن قسوة هذه العشائر، وقصص تناقلوها، سيؤدي ذكرها إلى الإطالة[(٤)].

---

(١) جريب: كلمة عربية قديمة، والجريب يعادل مساحة من الأرض تساوي ٣٩٦٧م٢، أنظر أيضاً: النصرة في أخبار البصرة ص ٣٧.

(٢) الليرة العثمانية =١٠٠ قرش صاغ وكانت تقل عن الباون الإسترليني بقليل، للاستزادة يمكن مراجعة:

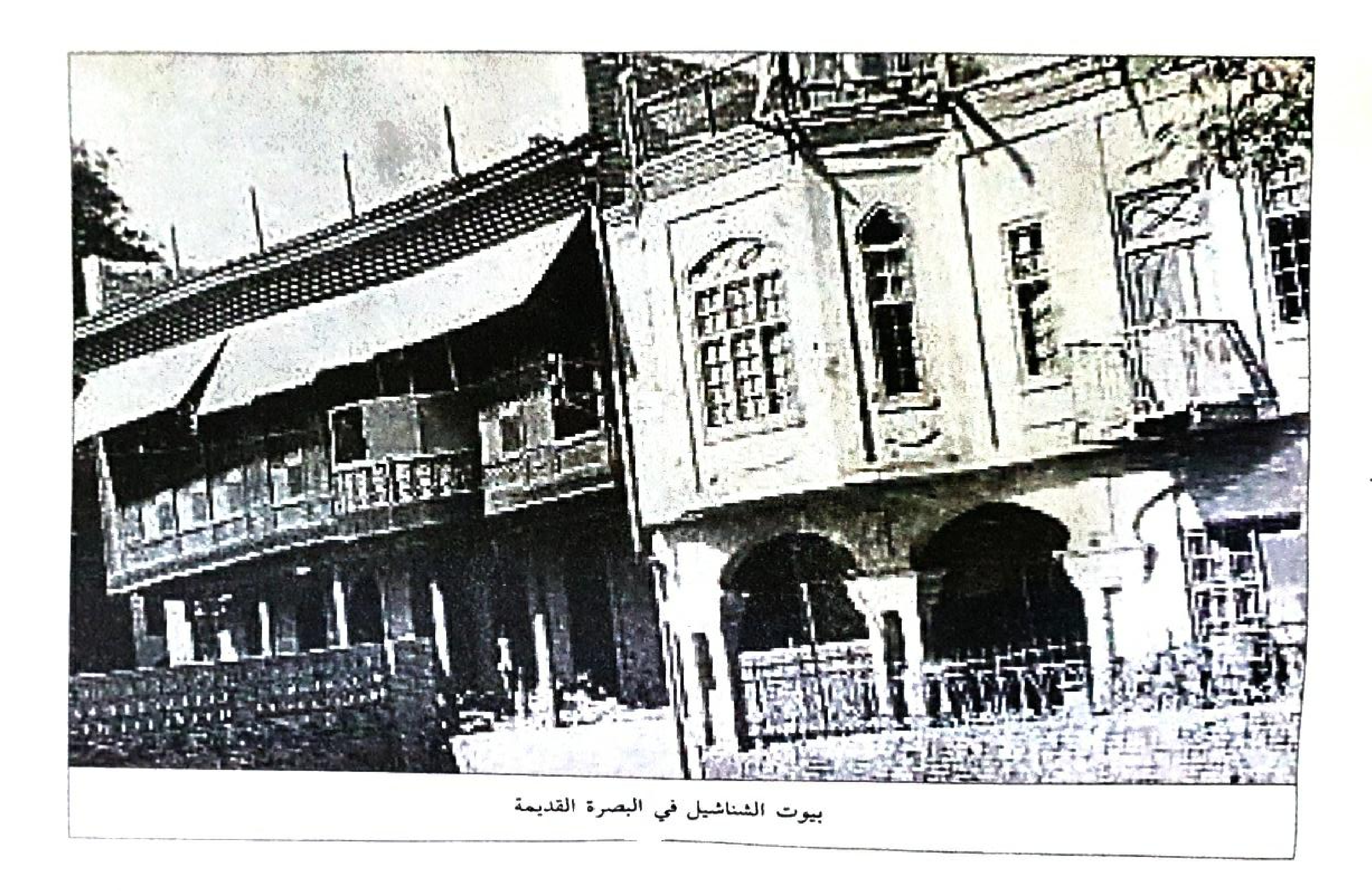
د. حسين محمد القهواتي، دور البصرة التجاري في الخليج العربي (١٨٦٩-١٩١٤)، ١٩٨٠.

(٣) الشامي: عملة عثمانية منقرضة، وكانت تساوي $\frac{1}{10}$ من الليرة تقريباً، وكان يتم بيع وشراء التمور بموجبها فقط.

(٤) من الأحداث الهامة التي وقعت في البصرة قبل العمران.

أن البحرين هاجموا البصرة بتحريض من التجار النجديين المقيمين فيها، وذلك في عام ١٨٢٠ وفي عام ١٨٢٦ فوض سلطان عمان الحصار على البصرة ليحصل على ديون له على الدولة العثمانية، وبعد انتهاء حكم المماليك ومجيء علي رضا باشا إلى بغداد وجه حملة عام ١٨٣٧ إلى المحمرة واستطاع الإستيلاء عليها وبذلك عادت السيادة العثمانية على البصرة مباشرة، إلا أن الولاة الذين أعقبوا علي رضا باشا لم يكونوا بمستوى المسؤولية فتدهورن أحوالها مرة أخرى حتى عام ١٨٦٠.

لوريمر، القسم التاريخي، ج٤، ص ١٩٤٥.



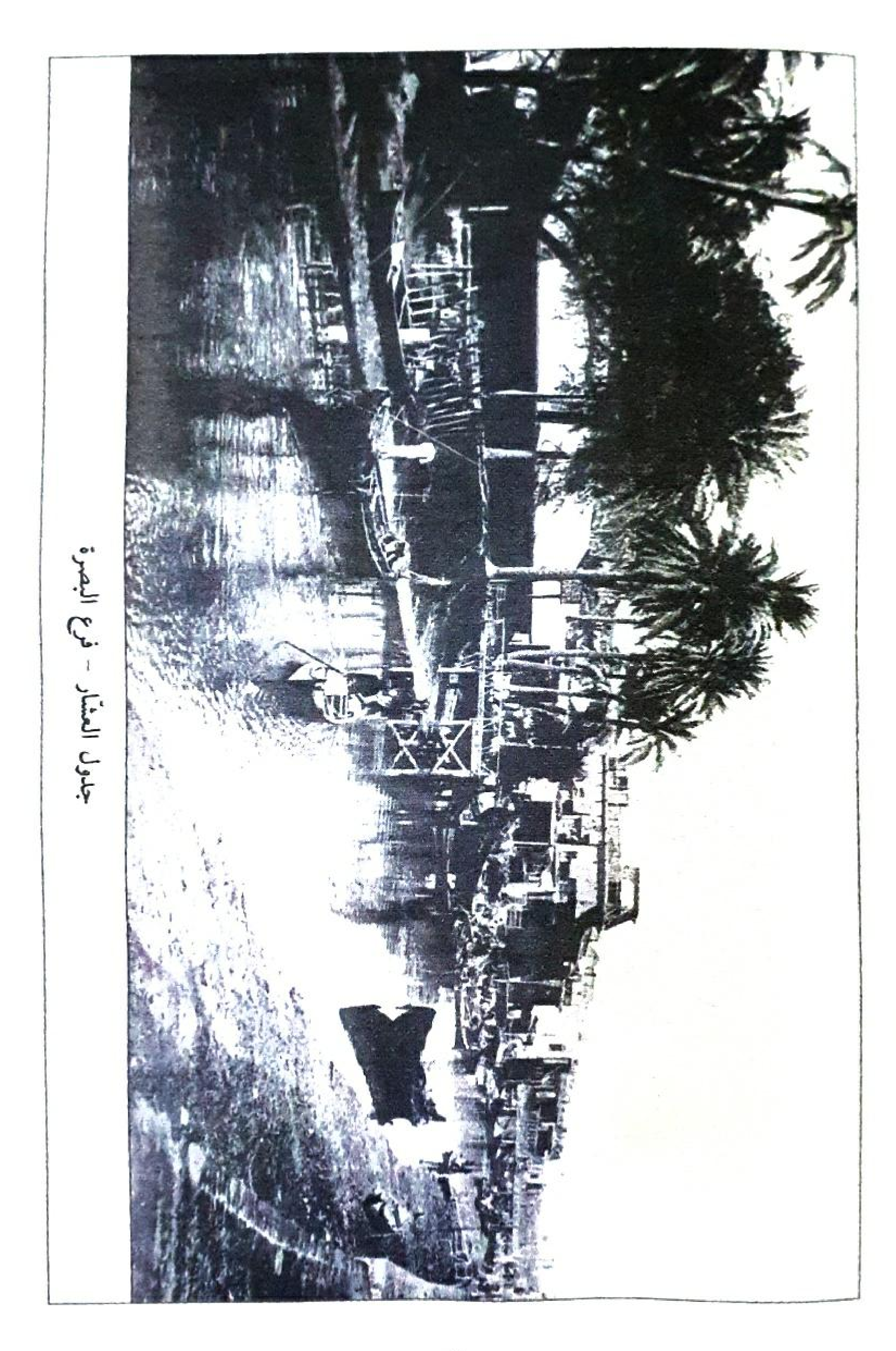
بيوت الشناشيل في البصرة القديمة



شيخ عربي



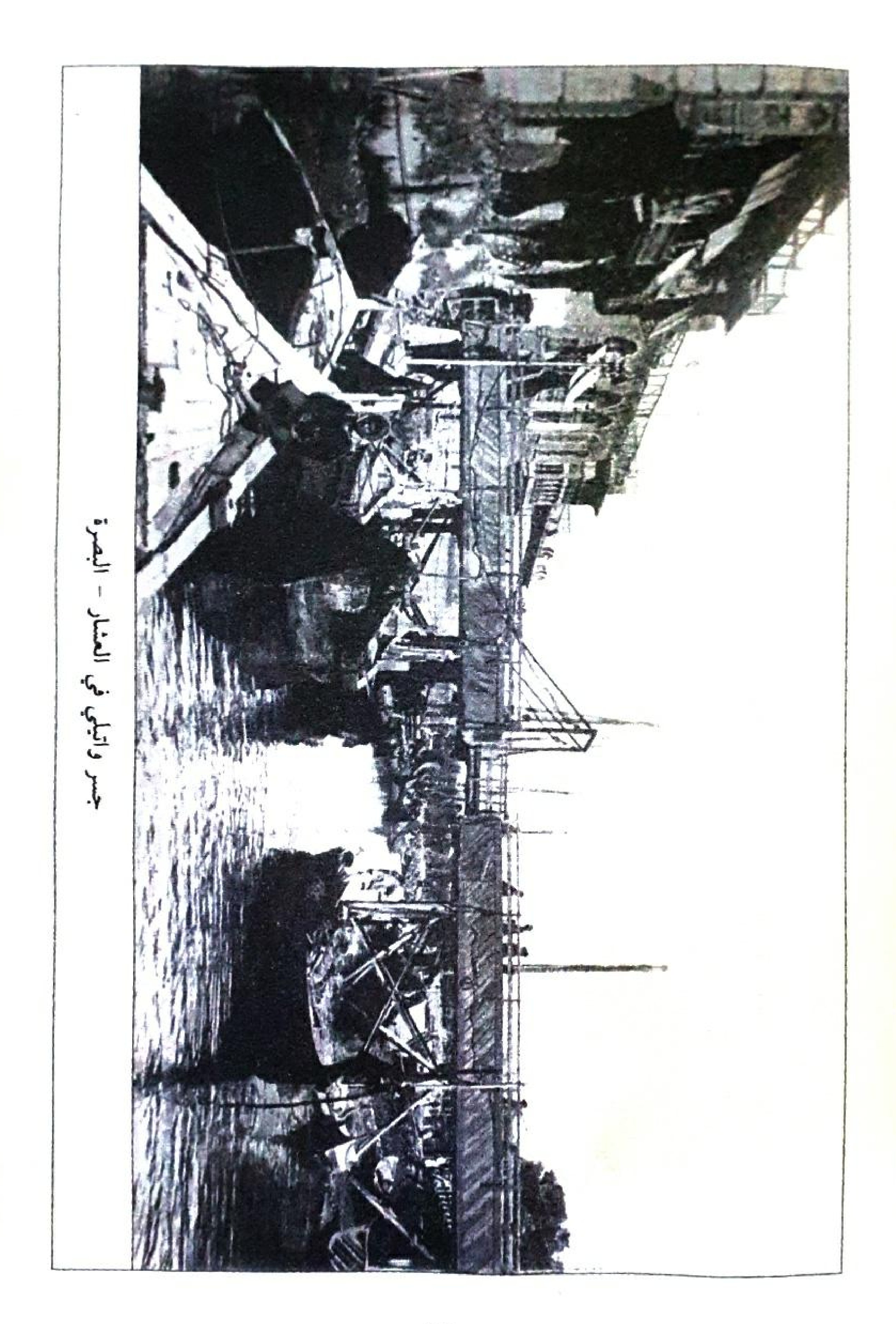
منزل تراثي في مدينة البصرة



جدول العشار - فرع البصرة



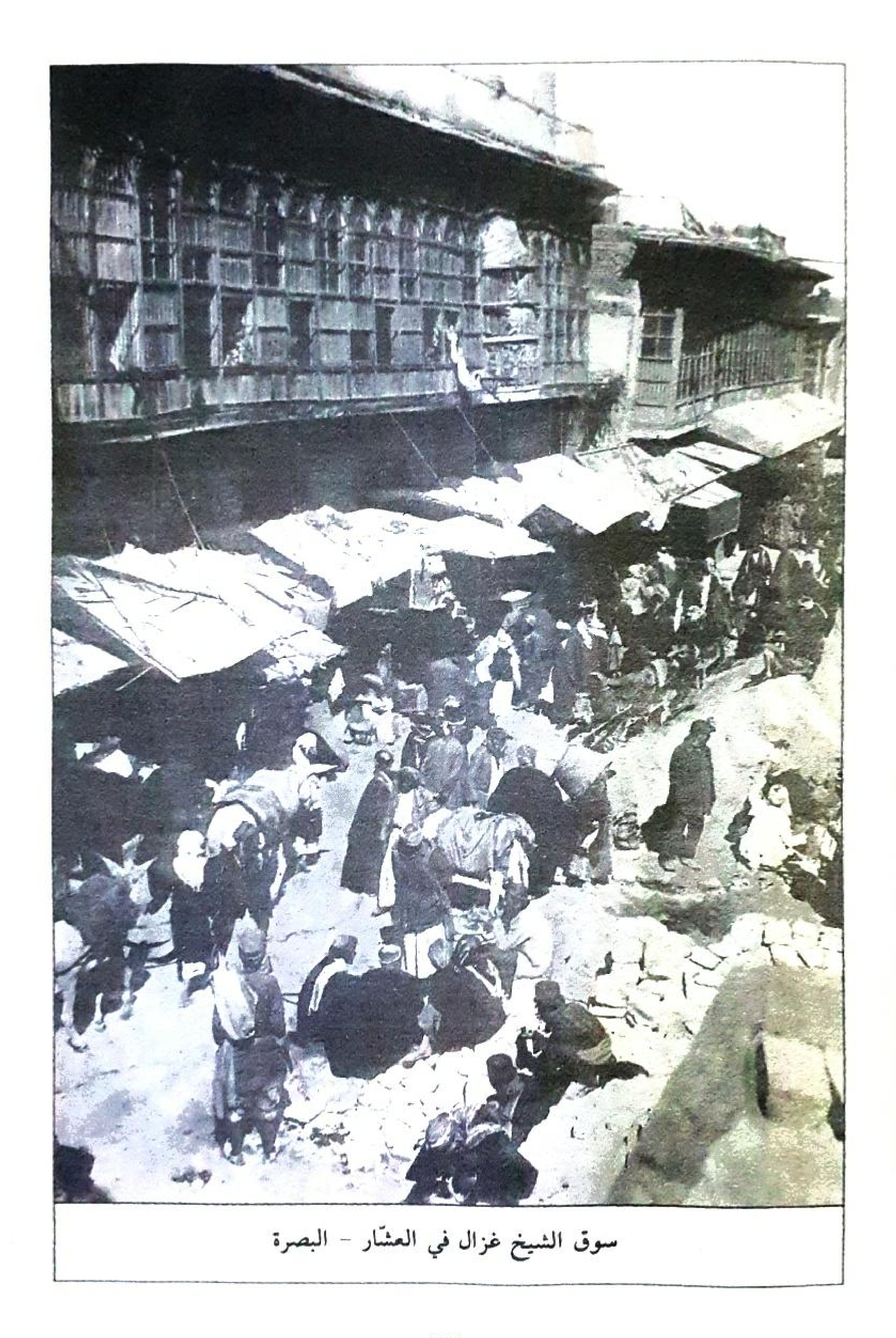
جدول السراي - البصرة



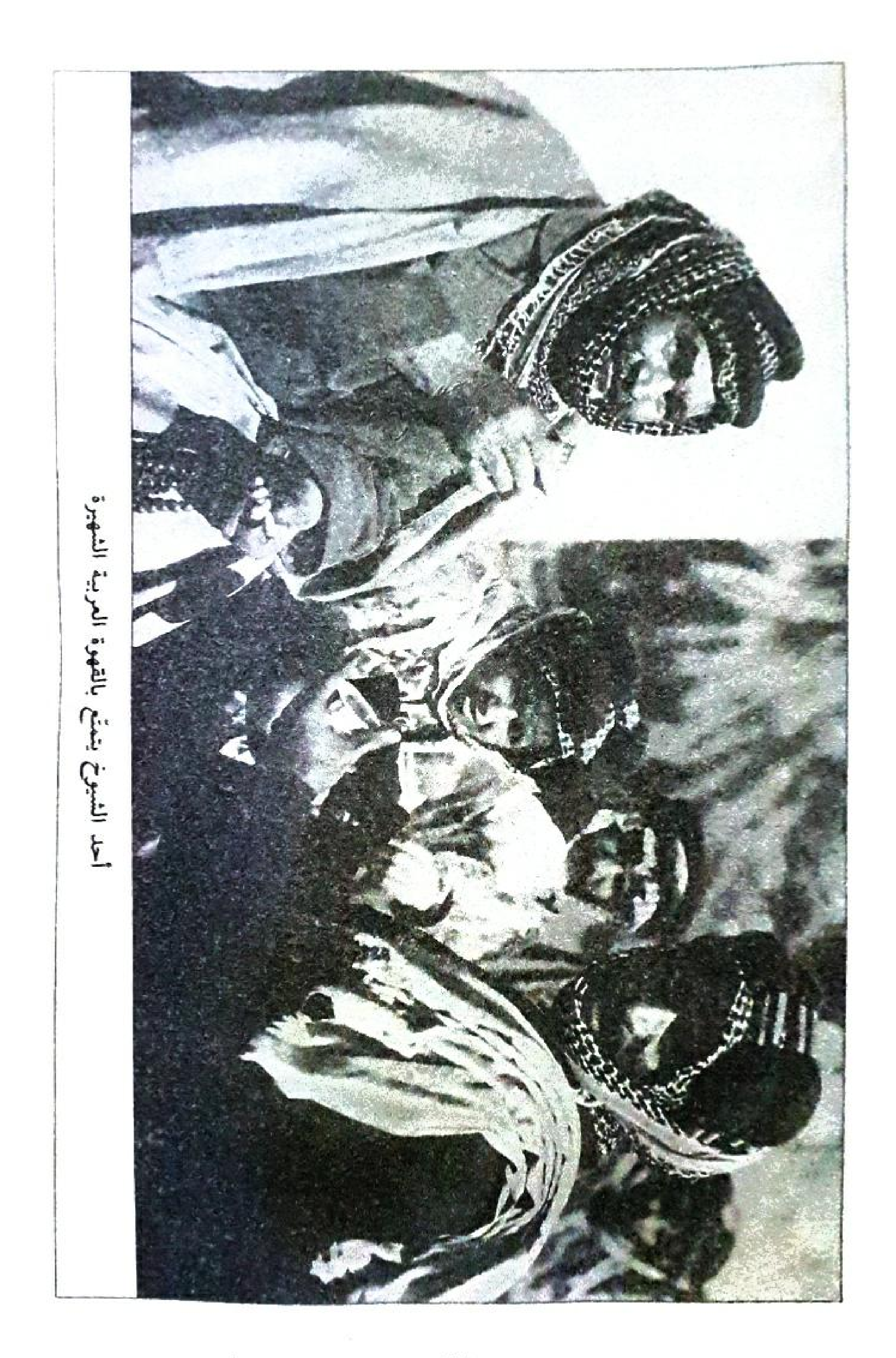
جسر وانبلي في العشار - البصرة



سوق الدجاج في البصرة



سوق الشيخ غزال في العشّار - البصرة



أحد الشيوخ يتمتع بالقهوة العربية المشهورة

عمران البصرة بفعل حكام «العلية العثمانية»

في سنة ١٢٧٧هـ، أختير منيب باشا[١]، حاكماً للبصرة من قبل والي بغداد نامق باشا[٢]، وقد تلقى تعليمات مشددة لإستخلاص البصرة من أيدي عشائر المنتفق[٣]، فقام بإخضاعهم بهمة ونشاط، وكان أهل البصرة يضرعون إلى الله أن يدفع عنهم شر تلك العشائر، لأنهم ذاقوا الويل والهوان منهم[٤]، فألتفوا حول منيب باشا وأيدوه، فجهز عدداً

(١) منيب باشا: كان حازماً واستطاع في فترة إدارته للبصرة أن يعيد إليها الأمن والإستقرار ويستعيد الأملاك من المتجاوزين عليها.
التاخي أحمد نور الانصاري، النصرة في أخبار البصرة، تحقيق الدكتور يوسف عز الدين، بغداد ١٩٦٩، ص ١٤.

(٢) نامق باشا: حكم بغداد قرنين، الأولى ١٨٥١-١٨٥٣ والثانية ١٨٦٢-١٨٦٧.

(٣) كان رئيس عشائر المنتفق آنئذ الشيخ بندر روكان قد تخلف عن إداء الرسم السنوي المفروض عن المقاطعات التي كانت بحوزته لذا أرسل نامق باشا حاكم بغداد أوامره إلى منيب باشا حاكم البصرة حيث استطاع هذا الأخير إلقاء القبض على بندر حينما جاء لزيارته على ظهر باخرة عثمانية، ثم أطلق سراحه مقابل مبلغ من المال، وتوجه الشيخ بندر على أثر ذلك إلى بغداد ودفع بعض المتراكمات من الديون وتوفي عام ١٨٦٣ وهو لا يزال مدين بمبلغ (٢٥) ألف شامي لخزينة الدولة العثمانية.
لوريمر، القسم التاريخي، ج٤، ص ٢١٠٠.

(٤) أحياناً يتم التصرف في الترجمة لتوضيح المعنى دون أن يفقد النص معناه.

كافياً من أفراد الجيش النظامي والمتطوعين واشتبك مع العشائر في عدة معارك، وكان النصر حليفه في كل مرة، فأخرجهم، وطهّر المدينة والقرى منهم، وبعد ذلك أعلن للناس أن كل من يملك (عقاراً أو أرضاً) عليه أن يبرز وثيقته الشرعية ليستلم أملاكه.

ولما كانت العشائر في ذلك الوقت قد اغتصبت أكثر الأملاك، فقد ظهر المالكون من كل حدب وصوب، وأبرز كل منهم وثيقة تملكه، فأعيدت إليهم أملاكهم.

ولما اطمأن الناس على أرواحهم وأملاكهم، أخذوا في تعمير بساتينهم وأملاكهم الخربة شيئاً فشيئاً، واتجهت البصرة إلى الإزدهار يوماً بعد آخر منذ ذلك التاريخ، والحقيقة فإن منيب باشا قد خدم الدولة العثمانية وأهل البصرة حتى أن المواطنين ما زالوا إلى «الآن»، يذكرونه بخير، ويطلبون الرحمة لروحه، إذ لم يكن يدور في خلد أحد قط أن بساتين البصرة وبنيانها سوف تصل إلى هذه الدرجة من الرقي والإزدهار، وأن كثيراً من الأشخاص اليوم، يتأسفون لأنهم لم يشتروا أملاكاً في ذلك الوقت، وقد سمعت جناب والدي يكرر القول: «قبل ثلاين سنة كنت أستطيع أن أشتري كثيراً من أملاك البصرة بثمن قليل جدًّا»، فقد كان الملاكون يعرضون عليه مساحات كبيرة بثمن بخس، ويلحون عليه، ولم يقبل، فإن جريب النخل الذي يثمّن الآن بمائة وخمسين ليرة أو بمائتين، كان قبل هذا (قبل عهد منيب باشا) لا يشتريه أحد بخمسين شامية فتصور هذا التفاوت الذي حدث في الأسعار، والملاكون الذين كانوا في منتهى الفقر والفاقه ويسكنون في بيوت من الطين أو في خيام، ويبيعون ناتج بساتينهم بسعر عدة أمنان من القمح أو الشعير، وقد بنوا اليوم (١٩٠٥/١٩٠٦) بيوتاً عالية، ويلبسون الملابس الحريرية والمعاطف الثمينة، ويعيشون بسعادة ورفاهية.

تستوفي الدولة أيضاً ضرائب كثيرة من الأراضي العامرة (المزروعة) وهذا كله نتيجة لجهود الولاة وحسن عنايتهم بأمور الرعية.

لو رأى أي فرد مدينة البصرة قبل ثلاثين سنة من اليوم ثم رآها الآن، فسوف يأخذه العجب، تصور قبل ثلاثين سنة لم يكن بين مقام علي عليه السلام الواقع على نهر العشار وبين مدينة البصرة سوى بعض القصب وبيوت الطين ومركز لكمرك ولا يبعد مقام علي عليه السلام عن المدينة أكثر من عشرين دقيقة، والآن صار المقام مدينة عامرة بفضل إهتمام الحكومة المحلية، وبنيت فيها الأسواق المتعددة، والفنادق المحترمة، والمنازل الأنيقة ذات الشرفات الرائعة المبنية من الآجر المصقول (الطابوق).

وكذلك ارتقت البصرة نفسها بالنسبة إلى السابق، حيث تلمس التعمير في كل مكان منها، وذلك لأن الثروة الطبيعية والإستعداد للتعمير الموجودين في البصرة لا يوجدان في أي مكان آخر من البلاد العثمانية.

والمميزات الطبيعية التي يمتاز بها (شط العرب) لا تتوفر لنهر آخر ولا حتى لنهر النيل المعروف ببركته، وذلك لأن فيضان النيل إذا زاد أو قلّ عن حده أدى إلى أضرار كبيرة، على عكس شط العرب الذي يجري دائماً بشكل طبيعي من الشمال إلى الجنوب، ويرتفع ماؤه بوساطة المد مرتين في كل أربع وعشرين ساعة فيسقي الحدائق وبساتين النخيل على نسق واحد، ولهذا لا يحمل فلاحو البصرة هم سقي حدائقهم وبساتينهم، فقد أعفاهم المد عن ذلك، ولا يفيض شط العرب إلا نادراً، وإذا حدث ذلك فأنه قليل الأذى، وأرض مصر لا تكون خضراء يانعة إلا في فصل الشتاء، بينما هي جافة قاحلة في بقية الفصول، بعكس أراضي البصرة التي يمكن أن تكون دائمة الخضرة بسبب إعتدال جريان شط العرب، يضاف إلى ذلك إمكانية زراعة حاصلات مصر الطبيعية وهي: النيلة - والأرز - وقصب السكر - والتبغ - والقطن - في البصرة أما تمور البصرة فلا يمكن إنتاجها

في مصر، ولكن يا للأسف: لم تتوفر للبصرة وسائل الرقي كما توفرت لمصر.

ولعلنا نلتفت إلى منطقة مجاورة للبصرة فنتركها معها في نظرتنا، وهي توازي البصرة في مزاياها الطبيعية، ومن المؤكد أن القارئ البصير سوف يتجه بخياله إلى عربستان[1]، طول هذه المنطقة (٦٤) فرسخاً، وعرضها نفس المقدار تقريباً[2]، وهي أرض منبسطة تجري فيها عدة أنهار كبيرة وصغيرة فتقطعها طولاً وعرضاً، هي: شط الكارون[3] - كرخة[4] - دانيال - طويريج - نهر هندجان[5] - أرمش - مي - دهبور - نهر الجراحي[6] المعروف بنهر مارون - نهر السويب، وقد كانت صفات هذه البلاد وخصبها موضع مبالغات الشعراء في وصفهم ومن منتجاتها: قصب السكر - والقطن - والنيلة - والأفيون - والتمر - والحبوب مثل القمح والشعير وغيرهما، وما زال شعراؤنا يذكرون سكر الأحواز وحرير شوشتر في أشعارهم، على الرغم من أنه لم يبق أي أثر

---

(١) لقد كانت عربستان إمتداداً طبيعيًا للبصرة في نشاطها التجاري وعلاقاتها الاجتماعية.

(٢) مساحتها حوالي (٣٥-٣٩) ألف ميل مربع.

سيد محمد علي إمام شوشتري، تاريخ جغرافيائي خوزستان، تهران، ١٣٣١ شمسي، ص ١.

(٣) ويسمى دجيل الأحواز، يقع في جبال بختيارى ويمر بمدينة تستسر (شوشتر) ودزفول والأحواز ويصبان في شط العرب، ويمر قرب قناة الحفار، وله فرع يؤدي إلى الخليج العربي مباشرة ويسمى بهمشير.

مصطفى عبد القادر النجار، التاريخ السياسي لإمارة عربستان العربية ١٨٩٧-١٩٢٥، القاهرة، ١٩٧١، ص ٣٤.

(٤) نهر الكرخة، ينبع من جبال كرمنشاه، وكرمنشاه ويسير محاذير.

(٥) ويلفظ ايضاً هنديان، تقع إلى شرق عربستان ويصب في الخليج العربي.

(٦) الجراحي: ينبع من المرتفعات القريبة من بهبهان ويصب في نهار (رامهرمز) وهور الفلاحية.

لهاتين المادتين في البلاد منذ قرون، وقد ذكر المؤرخون أنه كان يؤخذ في عهد هارون الرشيد من المدينة الأحواز ثلاثين ألف رطل من السكر خراجاً سنويًّا، عدا من النقود والسلع الأخرى، ومما يدعو إلى الأسى والأسف أن أراضي هذه البلاد قد تركت بوراً غير مزروعة، على الرغم من وجود هذه الأنهار، وتذهب كل مياهها هدراً، ولم يفكر أحد في تعمير وزراعة تلك المناطق والإستفادة من منابع الثروة فيها، مع وجود كل هذه الخيرات والبركات التي وضعها الله في المياه والتربة، ولو يباشر بالتعمير والإصلاح والزراعة على أصول حديثة لكسبت المنطقة ملايين النقود الأجنبية سنويًّا من تصدير النيلة والسكر والقطن والأفيون والتمر والحبوب، والآن، فإن الشخص الذي يدخل شط العرب من ناحية الخليج العربي، وينظر إلى جانبي الشط، يجد الساحل الغربي مثل غابة عظيمة متصلة وتخفي الأرض في ظل شجرها ويمتد نخيلها على طول شاطئ النهر ورؤية خضرتها نضارتها تعيد الحياة إلى النفس، ولكن عندما ينظر إلى الشاطئ الشرقي، يرى أكثر الأرض بوراً غير مزروعة.

«جدول بأسماء الحكام العثمانيين الذين حكموا البصرة من سنة ١٢٧٧-١٣٢٣هـ[1]، ١٨٦٠-١٩٠٥-١٩٠٦»

ذكرنا سابقاً أن الدولة العثمانية قهرت عشائر المنتفق واستولت تماماً على البصرة ونواحيها سنة ١٢٧٧هـ١٨٦٠م، ولا يخلو ذكر أسماء الحكام الذين جاؤا إلى البصرة وسكنوا فيها منذ سنة ١٢٧٧هـ حتى هذه السنة ١٣٢٣هـ ١٩٠٥م من فائدة:

سنة التعيين	اسم الحاكم ودرجته
١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م	محمد منيب باشا
١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م	الوكيل حاج علي أفندي
١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م	إسماعيل بك
١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م	المتسلم سليمان بك
١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م	غالب افندي
١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م	المتصرف حافظ باشا
١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م	خليل بك
١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م	سعيد افندي
١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م	آصف أفندي
١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م	الوكيل أحمد باشا قومندان البحرية
١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م	الوكيل خالد بك قومندان البحرية

(١) المترجم: ورد في النص حتى شهر «إيلان أيل» وهو الشهر السادس من السنة التركية التي تبدأ في الاعتدال الربيعي «٢١/ آذار (مارس)» من كل سنة، ويبدأ شهر غيلان أيل يوم ٢٣/ آب (أغسطس) حتى ٢٢/ أيلول (سبتمبر)، فهو بذلك ٣١ يوماً، ويقصد المؤلف بقوله هذه السنة سنة ١٣٢٣هـ.

١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م — المتصرف اشرف باشا

١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م — الوالي ناصر باشا(١)

في هذه السنة فصلت البصرة عن حكومة بغداد، وصارت ولاية، وكان ناصر باشا هذا أحد مشايخ المنتفق المحترمين، ليس له نظير في عهده بسخائه، ففي أثناء الحرب الروسية العثمانية قدم ثلاثين ألف ليرة إعانة منه للدولة، وهباته مشهورة، وما يزال يمدح بالجود والعطاء حتى (الآن).

سنة ١٢٩٤/ ١٨٧٧ — محمد منير باشا(٢).

سنة ١٢٩٥/ ١٨٧٨ — الوالي الوزير عبدالله باشا
١٨٧٥-١٨٧٩

كان هذا الوالي حسن السلوك ذا همة عالية، وقد سمعت الثناء عليه من والدي مراراً.

سنة ١٢٩٦/ ١٨٧٩ — الوالي الفريق ثابت باشا
١٨٧٩-١٨٨٠

سنة ١٢٩٧/ ١٨٨٠ — المتصرف مظهر باشا(٣)

في هذه السنة خفضت درجة حكومة البصرة فغدت متصرفية كالسابق.

---

(١) هو ناصر باشا السعدون، وأن الدولة العثمانية وجدت أن اجتماع السلطة الرسمية الكاملة والنفوذ المحلي في يد شخص واحد، أمر غير مرغوب به بالنسبة لها، لذا استدعيت ناصر باشا إلى اسطنبول وعين مستشاراً معتمداً للدولة ولكنه كان في الحقيقة سجيناً سياسيًّا.
للاستزادة يمكن مراجعة: لوريمر، (تاريخي) ج٢، ص٢١٣١.

(٢) ورد بأنه وكيل للوالي: أنظر: النهائي، المصدر السابق، ص ٣٢٥.

(٣) في عام ١٨٨٠ عادت البصرة وأصبحت متصرفية، النبهاني، المصدر السابق، ص٣٢٥.

سنة ١٢٩٩/ ١٨٨١ المتصرف يحي أفندي

سنة ١٣٠١/ ١٨٨٣ الوكيل علي رضا باشا قومندان البحرية[(١)]

سنة ١٣٠٤/ ١٨٨٦ الوالي الحاج عزت افندي

في هذه السنة أصبحت البصرة ولاية، وكنت (المؤلف) في التاسعة من عمري، ولا زلت أتذكر ولايته، كان رجلاً هرماً ذا لحية بيضاء، وكان يحب شرب الشاي كثيراً، وقد ألف رسالة في تعريف الشاي، وكان يقضي بأن يعرى اللصوص في أربعينات الشتاء[(٢)] وأن يصب عليهم الماء البارد، ويجلدوا، وفي الواقع كان هذا العلاج مفيداً جدًّا، فقد ساد الأمن مدينة البصرة في عهده، واطمأن الناس على أرواحهم وأموالهم.

سنة ١٣٠٥/ ١٨٨٧م الوالي المشير نافذ باشا[(٣)]

سنة ١٣٠٦/ ١٨٨٨م الوالي الفريق شعبان باشا

سنة ١٣٠٦/ ١٨٨٨م الوالي المشير هدايت باشا

كان لهذا الوالي صوت مهيب ولحية كثيفة، وكان رحيماً جدًّا ومتواضعاً، كان يركب حصانه ويتجول منفرداً في المدينة ويشتري بنفسه شيئاً من السوق، ظهر في عهده وباء فظشع في البصرة، ففر أكثر أهل المدينة وموظفي الدولة، وبقي هو وحيداً في المدينة مع جماعة من الجند وكان يتجول في جميع أرجاء المدينة أياماً، وإذا وجد ميتاً لا أهل له أمر الجند بحمله ودفنه، والحقيقة تستحق همته العالية كل تمجيد.

---

(١) عادت البصرة وأصبحت ولاية.

(٢) أربعينية الشتاء هي فترة أربعين يوماً من الشتاء تكون شديدة البرودة والمطر، وتسمى بالعامية «المربعانية».

(٣) كان يلقب بالعينتابي، أنظر، إبن غملاس، ص ٨١.

سنة ١٣٠٩/ ١٨٩١م محمد حافظ باشا بيكلر بيكي روملي أي والي روملي

كان هذا الوالي من الرجال ذوي الخبرة، والمأمورين المحبين لحكومتهم، ولكن لم يحالفه الحظ في البصرة، وانتهى إخلاصه في الخدمة إلى سوء العاقبة، ومجمل القصة أنه أخذ أربعمائة جندي مع أسلحتهم ومدافعهم في إحدى سفن الدولة لضبط حكومة «قطر»، فقدم إليه الشيخ جاسم آل ثاني شيخ قطر مبلغاً من المال وعدداً من عقود اللؤلؤ هدية، لكي يرده عن قصده، ولكن الباشا الشهم لم يبيع حقوق دولته، ولم يقبل شيئاً مما قدم إليه، وصمم على تنفيذ ما جاء من أجله، فلما رأى الشيخ جاسم بن ثاني أن الذهب لم يثمر، قام مع جمع غفير من البدو بالهجوم المفاجئ على العسكر فأحاطوا بهم وقتلوا أكثرهم، وقتل في تلك المعركة إبن أخت الوالي أيضاً، ففر الوالي المشار إليه مع عدد قليل بأرواحهم ووصلوا إلى السفينة، وكان سبب عزله.

سنة ١٣١٠/ ١٨٩٢م الوكيل أمين باشا قومندان البحرية

وكان هذا الشخص وطنيًّا ومستقيماً، عيَّن العاملين المخلصين من أهل البصرة في حكومة الولاية فرَضيَ الناس عن سيرته الحسنة، وما زالوا يذكرونه بخير.

سنة ١٣١٠/ ١٨٩٢م الوالي الفريق حمدي باشا[(١)]

سنة ١٣١٤/ ١٨٩٦م الوالي عارف باشا

(١) حمدي باشا: كان إداريًّا حازماً. أوجدت له خصوم متعددين، ويظهر بأن عزله من ولاية البصرة كان بسبب وشاية من بعض وجهاء البصرة والكويت.
أنظر لوريمر، تاريخي، ج١، ص ص ٢٢١٢-٢٢١٣.

سنة ١٣١٥/١٨٩٧م الوكيل الوالي الفريق محسن باشا[١]

سنة ١٣١٥/١٨٩٧م الوالي محمد أمين باشا

وكان رجلاً كفئاً، ولكن لم تدم ولايته، وعزل سريعاً، وقد أسف الناس لرحيله كثيراً.

سنة ١٣١٦/١٨٩٨م للمرة الثانية الفريق حمدي باشا

سنة ١٣١٧/١٨٩٩م الوالي الفريق محسن باشا

سنة ١٣١٩/١٩٠١م الوكيل عبد اللطيف باشا[٢]

سنة ١٣١٩/١٩٠١م الوالي الفريق مصطفى نوري باشا

سنة ١٣٢٢/١٩٠٤م الوكيل الوالي حسين فخري باشا (أمير اللواء أركان حرب)[٣]

وكان شابًّا متمدناً حسن التربية، أظهر في البصرة كفاءة ونشاطاً غريبين وكانت المدينة في ذلك الوقت تسودها الفوضى والخوف وإنعدام الأمن، والناس لا يستريحون ولا ينامون في الليل من الخوف على أرواحهم، وحتى في وضح النهار كان الأشرار يقتلون الناس في الأسواق

---

(١) محسن باشا : كان عسكريًّا لامعاً، ويبدو أن عزله كان بسبب مشاغله في مشكلة الكويت، ولاصراره في فتح طريق بري بين البصرة والفاو يمر عبر بساتين النخيل على الضفة اليمنى لشط العرب لأغراض عسكرية وتجارية.
لوريمر، ج٤، ص ٢٢١٣-٢٢١٤.

(٢) كان يلقب بالشامي، وقد حكم قبله محسن باشا للمرة الثانية، أنظر، إبن غملاس، المصدر السابق ص ٨٢.

(٣) فخري باشا: كان عسكريًّا حسن التعليم، وقد لجأ الى القوة المتناهية في معالجة جريمه في البصرة، بعث على أثرها، أبو الكواني، وقد زعم بأنه أمر بربط المجرمين داخل الكواني، وألقى بهم سرًّا في النهر.

والأزقة، ويغيرون على المنازل، ولم يكن يتصور أحد أن يقر هذا الشاب النظام في مثل هذه المدينة خلال أسبوع، فقد كان يتعقب الأشرار بنفسه مع جماعة من العساكر في أزقة المدينة وقراها وأطرافها، ويعاقب أصحاب الجنايات، ولكنه لم يمكث أكثر من ثلاثة أشهر، والحق أن له منة عظيمة على أهالي البصرة، ولا يزال الأمن الذي كان في عهده مضرب المثل بين الناس، وقد استخرج الشيخ عبدالله باش أعيان أحد كبار الوجهاء في البصرة وأصحاب الذوق فيها، تاريخ توليه السلطة من إسمه: حسين فخري باشا ١٣٢٢، وقال هذا المصراع أيضاً في تاريخ توليه.

وقد حصل الأمان بحكم فخري:

والحق فقد نظم درا.

وفي سنة ١٣٢٢/١٩٠٤/١٩٠٥، جاء الفريق محمد مخلص باشا بعد حسين فخري باشا، وهذا الوالي رجل طيب النفس ومستقيم، فقد اجتهد في حفظ الأمن في المدينة وسعى في أزدهارها، واستراح له جميع سكان المدينة، وكان قبل ذلك قد بنى ثكنة للجنود في مقام علي، وكان لديه طموحات جيدة للإصلاح والتعمير، ولا يزال هذا الشخص والياً حتى اليوم: السادس من ذي القعدة سنة ١٣٢٣هـ (٢/ كانون الثاني ١٩٠٦).

عادات وتقاليد أهل البصرة وقراها(*)

لا يزال أهل البصرة يبجّلون الغريب، ومنازلهم مفتوحة للضيوف، وبخاصة العشائر وأهل القرى منهم الذين يتفوقون على جميع سكان مدن العراق في استقبال الضيف وتقديم الطعام له، وكل إنسان يدخل إلى قصر الملاك أو إلى كوخ الفلاح، يتم إستقباله بمنتهى الاحترام، سواء يعرفونه أو لا يعرفونه، ويصنعون القهوة الخاصة لكل ضيف محترم يدخل إلى المُضيفْ، - وتقديم القهوة نوع من الاحترام - والقهوة التي يصنعونها للضيف الأول لا يقدمونها للضيف الثاني، وفي كل قرية وكل بستان يعيش فيه عدة أسر يوجد مضيف، وعندما يأتي شخص عزيز إلى المضيف يجتمع إليه كل القرويين القاطنين حوله، ويتعرفون على الضيف القادم، ويجب على صاحب المضيف أن يعد الطعام لجميع فلاحي قريته، والطعام الذي يحضرونه يأكل منه الضيف أولاً، ولا يجلس إلى المائدة مع الضيف أحد من الفلاحين وأهل القرية ولا حتى صاحب المضيف نفسه، ويأكل الآخرون بعد أن يتناول الضيف طعامه، وكلما قامت مجموعة عن المائدة جلست في مكانها مجموعة أخرى حتى ينتهي الطعام ولا يبقى

(*) للاستزادة عن عادات أهل البصرة وأحوالهم في الفترة السابقة يمكن مراجعة كتاب: حامد البازى، البصرة في الفترة المظلمة، بغداد، ١٩٧٠.

سوى العظام ونوى التمر، وإذا ذبحوا ذبيحة يقدّمون الخروف كله برأسه وأرجله وأجزائه الأخرى إلى المائدة، ليعرف الضيف أنهم ذبحوا خروفاً بمناسبة تشريفه، وإذا نقص شيء من الخروف وخصوصاً الرأس اعتبر ذلك نوعاً من المنقصة.

منازل القرويين، أو بيت الطين، أو البيت المصنوع من القصب والحصير كلها نظيفة مغسولة ومكنوسة، وأباريق شرب الماء نظيفة جدًّا ومن الواجب عندهم أن تغسل صباح كل يوم، ويمزجون في الصيف مع الماء عرق الطلع، ويفضلون شرب الماء المعطر بالمصطكي، ويضعون على أفواه أباريق الماء قطعاً من القماش الأبيض النظيف.

ملابس الرجال عبارة عن قميص طويل من القطن الخشن (الخام)، وقباء، وعباءة رقيقة ويخرجون بهذه الملابس البسيطة نفسها في الحر والبرد، وعند النوم يغسلون اقدامهم، ويتعرون تماماً، ويذهبون إلى الفراش.

ويكلفون النساء بالعمل كثيراً، وتناول الطعام مع المرأة عندهم عيب، فيقول في معرض الذم: فلان يأكل مع امرأته، ويتعبون النساء ويزجرونهن كثيراً، وينتظرون منهن: الطبخ، والطحن على الرحى، وصنع الخبز، ودق الأرز، وجلب الماء، وكنس المنزلب، وغسل الثياب، وقطف التمر، ونسج الحصر، وغير ذلك.

ونساؤهم طاهرات الذيول يغطين وجوههن بالعباءة وبغطاء الوجه.

وطعامهم، في الغالب، الخبز والتمر واللبن الرائب، ويعتنون بالبقرة كثيراً، وعندما يأتيهم ضيف يأكلون بفضل مجيئه الأرز واللحم، ويتزوجون بأكثر من إمرأة، ويطلّقون كثيراً، ويقدم الرجل والمرأة كثيراً من الاحترام والتبجيل إلى شيوخهم وأسيادهم، وعندما يدخلون على أحد منهم يقبلون يده، هذا وأن القرويين لا يحلقون لحاهم، ويكثرون من

إقامة المآتم الحسينية ويحترمون السادة العلويين ورجال الدين، وبين ظهرانيهم بعض اللصوص إلا أنهم لا يثرثرون بالألفاظ القبيحة إذا قورنوا بأهل بغداد وسائر مدن العراق ولا يذكرون الدين بكلام بذئ ولهم إهتمام كبير بزراعة النخيل، ولكنهم كسالى لا يعتنون باشجار الفاكهة الأخرى، وعلى الرغم من كثرة المياه لديهم إلا أنهم يجلبون الحمضيات من بغداد.

ملاكوا البصرة، يقضون أكثر أوقاتهم في اللهو والبطالة وهم لا يعرفون قيمة النقود فينفقونها ويبذرونها لأنها تأتيهم دون مشقة.

الزواج:

يقام العرس في البصرة بأبهة كبيرة، وينفقون مبالغ كبيرة على المغنيين وإقامة الولائم الكبيرة، والعادة عندهم أن يدوروا بالعريس ليلة الزفاف في أحياء المدينة، **وتفصيل ذلك**: أن يمر أولاً مجموعتان من الغلمان والفتيان بالبواق والطبول والصنوج والمشاعل، ويغنّون شيئاً غير مستساغ باللغة السواحلية والنوبية، بعد ذلك تأتي مجموعة من الحساوية[1]، وفي يد كل واحد عصا وطبل، فيطبّلون ويغنّون بأصوات عالية ومنكرة، ثم تأتي مجموعة من المهرجين وهم يهرولون ويدقون الأرض بأقدامهم[2]، وكلهم ينشدون على لحن واحد، **يسميه أهل عربستان «جزلة» أو «هوسة»** ثم تأتي مجموعة العازفين والقوال، ويعزفون موسيقى «المارش» ثم يأتي المطربون بالنقارات والأبواق، ويرقص بينهم صبي رقاص يمسك في يده جوساً، ثم يظهر صفان من الناس يحملون في أيديهم الفوانيس، ثم يأتي العريس بعد الجميع بغاية الوقار والتجبيل، وعن

---

(١) الحساوية: هم عرب من منطقة الاحساء.

(٢) المترجم: لعل هؤلاء راقصون ولم يفهم المؤلف نوع الرقص، مثل رقصة الدبكة التي لا يفهمها كل الناس.

يمينه وشماله وزيران، يلبسان ثياباً جديدة مثل العريس، ويسيران معه خطوة خطوة، ويمسكان به بينهما، وخلف الثلاثة هؤلاء يمشي ثلاثة أشخاص في يد كل منهم سيف مصلت، ويرفعون أيديهم بالسيوف فوق رؤوس العريس ووزيريه، ويتجمع الأطفال والمتفرجون أمام العريس وخلفه بكثرة تسد الطريق وتمنع المرور فيها، وبعض جهلة الناس يلمسون العريس في هذا الإزدحام على نية تحقيق المراد، بينما يمشي بعض أقاربه وأصدقائه وراءه مباشرة.

والخلاصة، فإن عملية الدوران بالعريس في البصرة فصل مسحري، ويدورون جهاز العروس أيضاً مع مطرب ومجموعة من العازفين في أحياء المدينة يعرضونه على الناس.

وفي ليلة زفاف العريس تختلط الألحان المختلفة والأصوات المتنافرة وتمتزج، حتى يعرف جميع أهل المدينة بالخبر.

الأعياد:

من الأعياد التي يهتم بها أهالي البصرة، عيد الفطر وعيد الأضحى، في هذين العيدين يزور جميع الناس بعضهم بعضاً، ويبارك كل منهم للآخر، والأشخاص الذين يأتون في يوم العيد إلى أي مجلس، يقوم الخادم أولاً بحمل النقل والحلوى الموجودة ويقدم للموجودين واحداً واحداً، وكل واحد منهم يأخذ حبة من النقل أو قطعة من الحلوى ويضعها في فمه، وتوضع صينية الحلوى دائماً على منضدة في وسط المجلس، ثم تقدم السكاير والشراب والقهوة والجلاب (الشربت) إلى الناس بالترتيب.

ويمر في أيام العيد القوال مع الموسيقى الخاصة به، وعازف الموسيقى مع جارية عازفة، والغلمان بطبولهم وأبواقهم وأعلامهم، مجموعة في أثر مجموعة على بيوت الأغنياء والوجهاء لأخذ العيدية،

ويعزفون في أحياء المدينة ويغنون، وينصب الدولاب والسرير في ميدان بوسط المدينة يسمى (سوق الدجاج)، ويركب فيه الأطفال، وتنصب القرارة، وهي خيمة في وسطها عمود محكم مثبت في الأرض، وحول تلك الخيمة بالترتيب: حصان وفيل صغير مصنوعان من خشب، وهما مثبتان بسقف الخيمة بأسياج الحديد، يأخذون نقوداً من الأطفال ويركبونهم على الحصان والفيل، ويدورون الخيمة بأيديهم فيدور الحصان والفيل معها، يوجد ألعاب وملاهي أخرى غير هذه.

الأمن:

اللصوصية في البصرة هي على الشكل التالي: أن تأتي مجموعة من الأشرار مكونة من ثلاثين أو أربعين شخصاً فيرابط بعضهم في الطرق والآخرون يكسرون باب أحد المنازل أو نافذته بالفاس أو غيره ويدخلون، فيقوم بعضهم بالنهب وسرقة الأموال ومصاغ أهل البيت، بينما يصعد آخرون إلى سطح البيت ويأخذون بإطلاق الرصاص في كل إتجاه لتخويف أهل المدينة، وعندما يقتحم بيت للسرقة في ليالي الصيف، ينزل الناس من أسطح منازلهم، لأن البقاء فوق السطح في خطر لكثرة ما يطلق اللصوص من الرصاص، ويحدث أحياناً أن يقتل فوق السطح ناس محايدون من جراء إطلاق النار العشوائي.

ويقتل اللصوص كل شخص يقف أمامهم من أهل المنزل، وكثيراً ما حدث أن قتلوا النساء أيضاً، وذات مرة هاجموا سفينة البريد البخارية التابعة لشركة النيكل، وكانت راسية في ميناء البصرة فقتلوا وجرحوا عدداً من أصحاب المناصب، وسرقوا مبلغاً كبيراً من المال نقداً(١)،

---

(١) لقد تعرضت الباخرة كشمير العائدة لشركة الهند البريطانية للملاحة التجارية للهجوم في حزيران ١٨٧٢ من قبل بعض المسلحين الذين احتلوا ظهر الباخرة وجرحوا عدة =

والحقيقة أن جرأة الأشرار في البصرة كانت بسبب أن الحكومة المحلية لا توقع القصاص على القتلة وأصحاب الجنايات، وتكتفي بحبسهم، وهذه العقوبة لا تكفي لتأديب النفوس الشرسة لأشرار البصرة، فلو يطبق القصاص على القتلة لما وقعت هذه الفواجع، ولهدأت المدينة من هذه الأحداث، ولأمّن الناس من تطاول الأشرار.

وأخيراً، أن القلب ليتألم من شرح قسوة وبطش أشقياء البصرة وهذا النوع من اللصوصية خاص بالبصرة فقط، وإذا لم تنتزع وتجتث فإنها سوف تنتقل إلى أماكن أخرى.

العزاء والمآتم:

تجري المآتم في البصرة بشيء من المبالغة، فعندما يموت واحد من أهل المدينة يطلق أهل بيته ذلك الصراخ المذهل والجئير الموجع، فإن يكن الوقت ليلاً يخرج جميع أهل المدينة لإستطلاع الخبر.

وفي بيت المآتم تضرب نساء الميت على رؤوسهن وصدورهن ووجوههن، حتى تجرح أكثر رؤوسهن ووجوههن، وتتابع أصواتهم بالبكاء والعويل والندب، وتقص نساء العرب في مآتم الأشخاص المحترمين ذوائبهن، ويجب أن تقف المرأة التي تذهب لقراءة الفاتحة

= أشخاص من طاقمها وقتلوا أحدهم وسرقوا مبلغ من النقود بـ(٤٢٠٥٠) روبية وكمية من البضائع قدرت قيمتها بـ(٥٥٥٢٢) روبية ولاذوا بالفرار، إلا أن السلطة العثمانية بطلب من السلطات البريطانية ألقت القبض على سبعة أشخاص من المسلحين ونفذت فيهم حكم الإعدام.

للمزيد من التفاصيل عن هذه الحادثة يمكن مراجعة:

د. حسين محمد القهواتي، دور البصرة التجاري في الخليج العربي ١٨١٩، ١٩١٤، بغداد، ١٩٨٠، ص ص ١٨٢، ١٨٣.

مقابل النساء صاحبات الميت وأن تضرب على رأسها ووجهها وصدرها، وكلما كثر ضربها لنفسها واشتد كلما كان شكر أصحاب العزاء لها أكثر.

ويوجد بعض النساء يأخذون أجراً من أجل النواح على الميت وإلقاء الأشعار العامية في مديحه.

ويمكن القول أن المآتم في البصرة نوع من الانتحار، إذ عندما تكون أربعينية الشتاء[1]، وتتعرى النساء، ويضربن على رؤوسهن وصدورهن بهذه الشدة والكثرة، فالأرجح أن تبتلي أولئك النسوة بالأمراض، وهذه الأعمال خاصة بسيئات الحظ (يقصد النساء) أما الرجال فهم مرتاحون من هذه العواطف ويكتفون بإقامة الفاتحة.

في البصرة كثير من الإيرانيين، ولكن كلهم كسبة بسطاء ما بين بقال، وحمّال، وسقّاء، أما التجار فهم بعدد أصابع اليد، وقد ترك كثير من الإيرانيين جنسيتهم بسبب ظلم المأمورين الإيرانيين، وأخذوا الجنسية العثمانية[2]. وتضم المدينة - عدا اليهود والنصارى - عدد محدود من الصابئين يشتغلون بالصياغة وهم بسطاء، ويخفون أكثر عقائدهم، ويعتبرون يحيى عليه السلام نبيهم، وديانتهم خليط من الديانة النصرانية واليهودية، إذ يلاحظ لدى هؤلاء القوم بعض الشعائر النصرانية وبعض الشعائر اليهودية.

فمثلاً هم مثل النصارى لا يختتنون، وعندهم التعبيد، وهم مثل متديني اليهود لا يحلقون لحاهم، ومن غرائب أحوالهم أنهم لا

---

(١) أربعينية الشتاء: هي فترة أربعين يوماً من الشتاء تكون شديدة البرودة كثيرة المطر، وتسمى بالعامية «المربعانية».

(٢) إن ما يذكره المؤلف هنا هو تبرير لما كان هو يقوم به، عندما كان يتصل ببعض العائلات العربية البصرية المشهورة في المدينة وأطرافها ويعرض عليهم الجنسية الإيرانية ويغريهم بتخليصهم من التجنيد العثماني الإلزامي.
حامد البازي، (في حوار معه).

يستوطنون في مكان ليس فيه ماء جار، ولا يوجد صابئيون إلا في البصرة ونواحيها، وقد سمعت أن أصلهم من مدينة شوشتر، ولهم فيها محلة خاصة بهم تعرف بمحلة الصابئيين، ويقال أنها باقية على إسمها إلى الآن، ولكن أهل شوشتر بسبب جهلهم وتعصبهم ظلموا هذه الطائفة المسكينة، فهاجروا منها إلى البصرة ونواحيها، ويوجد منهم عدة أسر في المحمّرة أيضاً.

يحكى أن أهل شوشتر قد أمروا الصابئيين في أيام المحرم ذات مرة بأن يضربوا على صدورهم وأن يقيموا العزاء لسيد الشهداء عليه السلام مثلهم، ولم ينفع أي عذر قدمه الصابئيون ولا إفادتهم مناقشاتهم، فقد تشدد الشوشتريون كثيراً، فلم يجد الصابئيون بدأً عن التظاهر بالموافقة[1].

والخلاصة، لأنني - مؤلف هذه السطور - لست خبيراً بأصول وعقائد ديانة هذه الطائفة، فلا أستطيع أن أشرح عنهم أكثر مما كتبت، ولكن حتى لا يتشابه الأمر على القراء المحترمين، فإن هؤلاء الصابئيين هم غير الذين ذكروا في القرآن المجيد.

---

(١) للاستزادة عن معرفة أحوال الصابئة وعقائدهم يمكن مراجعة:
باتريسنت تافرنيه، العراق في القرن السابع عشر، نقله إلى العربية وعلق على حواشيه بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد، ٩٤٤ أنظر، الملحق.

الفصل الثالث

جغرافية البصرة الطبيعية والمدنية ومتعلقاتها ومتفرعاتها

تقع البصرة على خط طول (٤٥) درجة و(٣٠) دقيقة، وعلى خط عرض (٣٠) درجة و(٣٠) دقيقة شمالاً، وهي أقصى الجنوب الشرقي من الدولة العثمانية، ويحد هذه المنطقة من الشمال ولاية بغداد، ومن الشرق عربستان وقسم من شط العرب، ومن الغرب هضبة نجد وصحراء جزيرة العرب، وتنتهي حدودها الجنوبية بالخليج العربي.

تبلغ مساحة هذه المنطقة حوالي (١٥٤٠) ألف كيلومتر مربع، وتتكون هذه الولاية اليوم (ولاية البصرة) - بالتقسيمات الحكومية - من **أربع ألوية هي: البصرة - المنتفك - العمارة - نجد.**

البصرة نفسها ولاية، أما المنتفك - والعمارة - ونجد فكل منها متصرفية وتتبع حكومة البصرة والمتصرف في إصطلاح العثمانيين بمعنى حاكم، ولكنه أقل درجة من الوالي.

طول البصرة مع قراها وبساتينها حوالي (٣٥) ساعة، وعرضها ثماني ساعات أو تسع ساعات تقريباً.

تقع مدينة البصرة في الجانب الغربي من شط العرب، وهي قسمان:

القسم الأول: هو المعروف بمقام علي[1]، ويقع في صدر نهر المشار وشاطئ شط العرب، ويتكون من عدة أحياء، وفيه ثكنة عسكرية كبيرة، للعساكر البرية، وثكنة أخرى للعساكر البحرية[2]، ومصنعين لصهر الحديد وإصلاح السفن البخارية، ودائرة للبحرية، ومستشفى عسكري[3]، ومحطة للتلغراف، ودائرة الكمرك، ودائرة الحجر الصحي ودائرة الميناء[4] والدائرة النهرية والمراكز التجارية، ومكاتب الشركات الأجنبية، ومحلات وكلاء شركات السفن البحرية، وفي هذا المكان أيضاً مقام علي عليه السلام، وهو مسجد له مئذنة، يصلي فيه الناس، وينزل الفقراء في زاويته، ويقع المسجد على شاطئ نهر العشار، ويعتبره الناس مقاماً مباركاً، ورويَ أن بعض الكرامات تظهر في ذلك المكان أحياناً.

وأخيراً، فإن العمائر المقامة في منطقة مقام علي، ما عدا الدوائر الرسمية التي ذكرت سابقاً، تتكون من: حمام واحد، ومدرستين

---

(١) يسمى اللسان الذي يقع بين نهري العشار والخندق باسم «الدوب» وعرضه حوالي نصف ميل، وكان يطلق عليه أحياناً اسم المقام أو العشار.
أما مجال الجانب الشرقي من نهر العشار فهي: محلة نظران، والصبخة الصغيرة الكبيرة، والمعصرة، ومحلة الخضر، والساعي، وأم البروم والقشلة والمقام، والدوب، أنظر:
لوريمر، ج١، (جغرافي) ص ص ٣٤٢-٣٤٣.
النبهاني، التحفة النبهانية، ج٩، مصر، ١٣٤٢هـ، ص ص ١٠٦-١٠٧.

(٢) كانت الثكنة تقع على نهر المنادى، صفة الله الحيدرى البغدادي أحوال البصرة، بغداد، ١٩٦١، ص ١٩.

(٣) تقع في الجهة الشرقية من شط العرب في المقاطعة المسماة (تنومة) النهائي، المصدر السابق، ص ١٠٧.

(٤) أنشأ الميناء، أمين باشا قمندان البحرية سنة ١٣١٢هـ وأتم بناءها يعقوب باشا الذي خلفه في المنصب عام ١٣١٣هـ.
النبهاني، المصدر السابق، ص ٧١.

إبتدائيتين، وسوقين كليهما خمسمائة وخمسون دكاناً وعدد من المقاهي، ومحطة للقوافل، وفندق، ومخزن تجاري، وحوالي ألف منزل عدا بيوت القصب، وسكانها تخميناً حوالي عشرين ألف ما بين غريب ومواطن.

القسم الثاني: وهو أصل المدينة، ويقع على بعد عشرين دقيقة إلى الغرب من شط العرب، وهو محاط ببساتين النخل والأنهار من جهاته الأربع ويجري نهر العشار المعروف في وسط المدينة، وهو متفرع من شط العرب، ويظهر القسمان (قسما المدينة) بوضوح في خريطة البصرة.

مباني هذا القسم عبارة عن: قصر للحكومة (السراي)، دائرة البلدية، دائرة الديون العمومية، المحكمة التجارية، محطة التلغراف، مستشفى للفقراء، صيدليتين حكوميتين، مطبعة صغيرة حكومية، أحد عشر مركز مراقبة عسكرية (أبراج للمراقبة)، خمسة عشر مسجداً، معبد يهودي، ثلاث كنائس، مدرسة رشدية[1]، ثلاث مدارس إبتدائية، مدرسة أهلية، ثلاث مدارس أخرى تابعة إلى ملل غير إسلامية، سوقين كبيرين، وسوق صغير، وألف وخمسمائة دكان ومخزن تقريباً، ١٤ محطة للقوافل، وحوالي ثلاثة آلاف منزل عدا - بيوت القصب، وسكانه ٢٥ ألف ما بين غريب ومواطن.

محلات البصرة في كلا القسمين منها[2]:

محلة المقام - محلة الدوب - محلة الخندق - محلة الكزارة -

---

(١) وهي مرحلة أعلى من الابتدائية.

(٢) كان لكل محلة نهراً خاصًّا يتخلل شوارعها فيسقى بساتينها دورها. وعلى الأغلب فإن المحلة سميت باسم النهر الذي يسقيها.
وهي أسماء المحلات الأخرى للفترات اللاحقة: المحصة، خفاجه، الأرمن، العبودة، العشار، القشلة، أم البروم، رباط الكبير، معقل، الجبيله، النجيبية، الماجدية، بدران، حمرانان، المعيدي، الزين، أم المجد، الجراحي، أم العاج، =

محلة المناوى - محلة الفرسي - محلة السيمر - محلة أبي الحسن - محلة جسر الملح - محلة جسر العبيد - محلة يحيى زكريا - محلة السيف - محلة الباشا - محلة القبلة - محلة البلوش - محلة نضران - محلة سوق الدجاج - محلة عز الدين - محلة القكانة - محلة المشراق - محلة السبخة الكبيرة - محلة السبخة الصغيرة - محلة المعصرة - محلة الساعي - محلة مناوي لجم - محلة الباب النهري - محلة الحميدى - محلة بستان القصب - محلة العباس - محلة البريهة - محلة كوت الحجاج - محلة الجزيرة - محلة الحكاكة - محلة الخضر.

أسماء أنهار البصرة وقراها ومقاطعاتها(1):

قرية السراجي - قرية يوسفان - قرية مهيجران - قرية حمدان - قرية بومغيرة - نهر خوز - قرية اليهودي - أبو الخصيب - أبو الفلوس - بليان - كوت الزين - أم الغرب - المطوعة - الفياضي - بليانه - العويسية - البحرية - الدواسر - المعامر - دورة غبن إبراهيم - الفاو - كوت الخست - الزيادية - كوت الخليفة - كوت العباس - الصوفية - الدعيجي - نهر

= الدرواز، الكوت، الرشيدية، العرب، الغليظة، بنو مالك، قطانه، باب الهوى، محمد الجواد. ص ٣٨٧-٣٨٩.

أنظر: مجلة الإعتدال، السنة الثانية، العدد ٩، ذي القعدة ١٣٥٣، شباط ١٩٣٥.

(1) في عام ١٩١٢ حاول أحد وجهاء البصرة إحصاء أنهار البصرة ميدانيًا واستطاع تحديدها، بـ(ستمائة وأربعة وثلاثين نهراً)، ٤٧٠ منها في الجهة الغربية ورأينا أنه من المناسب إلحاق أسماء هذه الأنهار المنشورة في مجلة لغة العرب، ج٧، السنة ٣ في آب ١٩١٣، بهذا الكتاب زيادة في الإفادة، أنظر ملحق رقم (1).

للاستزادة عن تفاصيل الأنهار يمكن مراجعة، الحيدرى، أحوال البصرة، ص ١٩-٣٢.

الكثير هم الذين شغفوا بذكر أنهار البصرة منهم، كاظم جواد السعدي، تاريخ البصرة، النجف، ١٩٥٩، ص ص ٣٦-٣٩، وقد رتبها حسب الحروف الأبجدية.

جاسم - كردلان - كتيبان - جزيرة العين الجبيلة - كوت الإفرنجي - كرمة علي - الكباسي الكبير - الكباسي الصغير - الريان - الجبارات - الحوطة - الكبيرة - الحوطة الصغيرة - باب جليع - الهويرة - كوت الجوع - كوت السيد - كوت الغضبان - كوت الشيخ - كوت زعير - كوت الكوام - كوت إبن نعمة - الدرة والطويلة - العجيواوية - الصالحية - الزيجي - الفداغية - السبيليات - الصنكر - الرباط - الهارثة.

ويوجد غير ما ذكرنا قرى ومقاطعات وأنهار صغيرة أخرى غير معروفة سيؤدي ذكرها إلى الاطالة.

السكان:

عدد سكان البصرة، من الفاو إلى القرنة، حسب التخميس أكثر من مائة ألف، وهذا الرقم لا يشمل سكان العمارة والحسا والمنتفك، ويوجد في قرى البصرة كثير من عشائر عربستان، يعملون في الفلاحة[١].

التضاريس الطبيعية:

لا يوجد في البصرة أصلاً غابة أو جبل، وليس فيها حيوانات مفترسة كالسد والنمر وأمثالها، وجميع أرض البصرة سهلية منبسطة، ولكن الجهة الغربية منها فقط تمسك بالماء في أيام الربيع بسبب نهر الفرات، فتتكون بحيرة كبيرة طولها (٥٠-٦٠) فرسخاً، وعرضها (٢-٣) فراسخ، وتصل إلى ظهر بساتين النخيل، ويصطلح سكان المنطقة على تسمية هذا السيل

(١) أنظر بحث السكان في د. حسين محمد القهواتي، دور البصرة التجاري في الخليج العربي ١٨٦٩-١٩١٤، بغداد، ١٩٨٠، ص

باسم «ماء الموج»[1]، ويكون عمق هذه البحيرة المؤقتة ما بين (١٠-١٠٠) سنتمتر.

ويجري ماء هذه البحيرة بضعف، ويتوقف ذلك على قوة الهواء، فحيثما إتجه الريح يجري الماء باتجاهه، وتبقى هذه البحيرة من أول الربيع حتى آخر الصيف، ثم تجف شيئاً فشيئاً.

وسبب هذا السيل وخامة هواء البصرة في الصيف، وينزل الطل في بعض ليالي الصيف مثل المطر، فتسبب هذه الرطوبة كسل الإنسان وضعفه.

شط العرب:

ماء البصرة من نهر شط العرب المشهور، يمتد مجراه من الشمال إلى الجنوب، ويتكون من نهري دجلة والفرات، إذ يلتقيان في نقطة تلاق هي القرنة[2]، فمن القرنة يبدأ شط العرب.

والقرنة قصبة تقع شمالي البصرة، وتستغرق الرحلة بينهما بالسفينة البخارية (٦-٧) ساعات.

ونهر الكارون أيضاً الذي يجري في وسط عربستان من شرقها إلى غربها، يصب في شط العرب عند المحمرة، ويصب الجميع في الخليج العربي، ويبلغ طول شط العرب من القرنة إلى مصبه عند الفاو مائة وخمسون كيلو متراً، أو (١١٧) ميلاً بحريًّا، وهو أقل من أربعين فرسخاً بقليل.

---

(١) إصطلاح يطلق على مياه المستنقعات في غرب البصرة، للاستزادة، أنظر بصرة ولايتي.

(٢) سميت في عهد علي باشا افراسياب باسم العلية: أنظر:
مجلة لغة العرب، ج٩، السنة ٤، آذار ١٩٢٧، ص ٥٧٥.

أما عمق شط العرب فأنه يختلف من مكان إلى آخر، ولكن أعمق نقطة فيه في وقت الجزر وقلة الماء تكون (١٥) متراً، وعمق أقل المناطق عمقاً سبعة أمتار، وعرض شط العرب في أوسع مناطقه (٣٠٠) متر[1].

يحدث المد والجزر في شط العرب مرتين كل (٧٤) ساعة، لذلك فالفلاحون في هذه المنطقة مستريحون من استخدام وسائل الري المتعبة التي تستعمل في المناطق الأخرى لري البساتين، وتستطيع جميع السفن البحرية الكبيرة أن تسير في هذا النهر، وللمد تأثير كبير في تسهيل سير السفن الكبيرة في النهر، وتجري مياه المد في نهر دجلة حتى قرية العزير وفي الفرات حتى بلدة المدينة، ولا تتجاوز هاتين النقطتين وللريح تأثير واضح في المد والجزر، إذ عندما يهب ريح الشمال لا يرتفع المد أكثر من قدمين أو ثلاثة أقدام، وعندما تهب رياح شرقية أو جنوبية يرتفع المد عالياً جدًّا، ويكون المد قويًّا أيضاً في أوائل الشهر وفي منتصفه، ويصل إرتفاع المد في الجهة الجنوبية من البصرة وفي الأماكن الغربية من البحر إلى مترين ونصف المتر، ولكنه شمالي القرنة لا يرتفع أكثر من (٢٥) سنتمتراً، وتكثر مياه شط العرب في فصل الربيع بسبب فيضان نهري دجلة والفرات، وتقل في الخريف، ومياه البصرة في الأصل سهلة وسائغة، لأن مياه شط العرب تتكون من مياه دجلة والفرات العذبة، ولكن يوجد مستنقعات فوق القرنة على جانبي دجلة والفرات، تكونت بسبب فيضان النهرين المذكورين، ومياه المستنقعات الآسنة تلك التي تغير لونها وطعمها تصب في شط العرب وتؤثر في المياه المضافة إليها، ولهذا السبب تصير مياه البصرة ثقيلة وغير مستساغة، والسمك في هذا النهر كثير، وهو قوت أغلب الفقراء.

---

(١) عن تفاوت عرض النهر بين القرنه والفاو، أنظر: القهواتي، دور البصرة التجاري، فقرة (شط العرب).

الهواء:

لما كانت المياه والأشجار كثيرة حول مدينة البصرة، فإن هوائها على الإطلاق رطب، ويختلف الهواء فيها باختلاف الفصول، وفصولها ليست معتدلة، فمثلاً تهب الرياح في الصيف على الأغلب من الشمال، وفي الشتاء أكثر رياحها شرقية وجنوبية، وأفضل هواء البصرة في الصيف والربيع هواء الشمال، ومهما هب هذا الهواء لا يشتكى منه، بل هو لطيف ومريح، وأسوأ هواء البصرة هو الهواء الشرقي والجنوبي، فأنه ثقيل جدًا ورطب، وخصوصاً في الصيف، فإذا هبت الرياح الشرقية أو الجنوبية في الصيف يضيق نفس الإنسان ويعرض له كسل وخمول، يقول أحد الأباء المتقدمين في وصف ريح الشمال والريح الجنوبي:

نحن في البصرة في لون من العيش رغيف
نحن ما هبت شمال بين جنات وريف
وإذا هبت جنوب فكأنا في كنيف

وكثيراً ما يحدث في البصرة أن يتغير الهواء في يوم وليلة عدة مرات، فحيناً حار وحيناً بارد وحيناً معتدل، وهذه التغييرات تؤدي إلى حدوث الأمراض والعلل في هذه المدينة، وقد سموا البصرة قديماً بسبب تغير أهويتها «الرعناء» ويشير الشاعر الفرزدق بهذا البيت إلى ذلك المعنى، فيقول:

لولا أبو مالك المرجو نائله ما كان في البصرة الرعناء لي وطناً

ويهب في البصرة هواء يسمونه «البارح»، وهو ريح الشمال، يبدأ في برج السرطان، وهو سريع جدًا، فيثير غباراً عالياً وأتربة، ويدوم في الغالب أربعين يوماً، وهو نافع جدًا للأشجار، ولنخيل البصرة، وتظهر الحمى الراعشة[1]، في البصرة وغيرها من الحميات في آخر الربيع وأوائل

---

(١) الحمى الراعشة: سميت كذلك لأن المريض يصاب بالرعشة عندما تأتيه نوبة =

الخريف، ويكون هواء البصرة في الشتاء والصيف أسلم، والحمى الراعشة بالبصرة معروفة، وهناك مثل مشهور في السابق يقول: أن صاحب الدكان يقول لرفيقه: تعال إلى دكاني حتى أذهب أسخن وأعود، ولكن هواء البصرة الآن أفضل من السابق، ولكنه بوجه العموم ليس مناسباً للصحة، أما في بعض القرى فهو مأمون ورداءته أقل.

ومهما تكن برودة البصرة وحرارتها في أي فصل من الفصول مرتبطتان بالهواء الجنوبي والشمالي، فإن شدة حرارتها في الصيف تكون في «الباحورة» وشدة برودتها في الشتاء تكون في «الشارشار»، ففي الصيف يرتفع معدل الحرارة حتى (٤٧) درجة مئوية، وينخفض في بعض الأوقات في الشتاء إلى ثلاث درجات أو أربع تحت الصفر، ويكون في الأوقات المعتدلة (٢٠-٢٥) درجة مئوية، وهكذا تكون حرارة البصرة لا تطاق، وبرودتها تذيب الروح، ففي أربعينية الشتاء تتجمد المياه غالباً لمدة أسبوع، ويحتاج الناس للنار والمنقل مدة شهرين، وفي بعض السنوات يموت صيادو السمك على الشاطئ من شدة البرد، وكذلك يحدث أحياناً في الصيف أن يموت صيادو السمك من شدة الحرارة.

البلم (القارب):

يصنع في البصرة قارب طويل من الخشب يسمى «البلم»[1]، طوله المتعارف عليه (٨-٩) أمتار، وعرضه متر واحد، وطريقة سيره هي هكذا: أن يقف شخصان في رأسي البلم، وفي يد كل منهما قصبة هندية، وينزلان (رأسي) القصبتين إلى الأرض ويضغطان، فيسير البلم، أما في وسط النهر وفي الأماكن العميقة المياه لا تصل القصبة إلى القاع، فيسيرون البلم

= الحمى، وهي حمى الماريا.

(١) البلم كلمة هندية، صدره ومؤخره واحد، وهما ملتوطان كمؤخر السفينة وموقفان إلى الأعلى، أنظر: كاظم الدجيلي.

بالمجداف وإذا كانت الرياح مواتية يستخدمون شراعاً، والبلم قارب جميل، ويمتلك منه جميع وجهاء المدينة، وتوجد قوارب منه للتأجير أيضاً.

قنصليات الدول الأجنبية في البصرة:

دار القائم بالأعمال الإيرانية - القنصلية الروسية - القنصلية الإنكليزية - القنصلية الإلمانية (أنشئت حديثاً) - القنصلية الفخرية الأمريكية.

وكلاء شركات السفن البخارية، والتجارية الداخلية، والأجنبية

وكالة شركة (كري ماكنزى)[1]، الإنكليزية التي تتبعها سفن البريد.

وكالة شركة (لنج)[2]، الإنكليزية التي تعمل سفنها في الشط.

وكالة شركة سفن العجم المعروفة بـ(برشن كلف).

وكالة شركة (ستريك)[3]، الإنكليزية.

وكالة شركة (ميوز)[4]، الإنكليزية.

---

(١) تقع مؤسسات هذه الشركة فوق مكاتب القنصلية البريطانية التي كانت بدورها تقع مسافة (٣٠٠) ياردة جنوبي نهر العشار، لوريمر، ج، ص ٣٤٥، القهواتي، دور البصرة، ص ٢٧٨.

(٢) كان مكان شركة لنج يلي مكان شركة كرى مكنزى، أي جنوب القنصلية البريطانية على شط العرب، القهواتي، دور البصرة، ص ٣٤٥.

(٣) للاستزادة، أنظر: القهواتي، دور البصرة، ص ٢٨٨.

(٤) كانت مؤسسات هذه الشركة تقع على الجهة الشمالية من مدخل نهر الخندق، الأراضي كانت ملك لشركة أصفر وشركاه، لوريمر، ج١، جغرافي، ص ٣٤٤، القهواتي، دور البصرة، ص ٢٧٨، تقع أعلى الحقاب، وهي مقر القنصلية الروسية أيضاً.

وكالة الشركة الأميركية المعروفة بـ(هلست).

وكالة الشركة التجارية والسفن البخارية الروسية[١].

وكالة الشركة الإلمانية المشهورة بـ(هامبورك - أمريكا).

وكالة الشركة اليونانية.

متجر جبوري اصفر بغدادي.

متجر ميمني الهندي.

الإدارة النهرية العثمانية: والسفن النهرية التي تعمل بين البصرة وبغداد هي: الرصافة[٢] - الفرات[٣] - الموصل[٤] - الحميدي - البرهانية[٥] - بغداد[٦] - البصرة[٧] - وهذه السفن تابعة للإدارة النهرية العثمانية وخاصة الحكومة المحلية.

---

(١) كانت مؤسسات هذه الشركة تقع على نهر الكراره أسفل القنصلية البريطانية بحوالي (٥٠٠) يارده والدار كانت تعود لأسرة النقيب.

لوريمر، ج١، جغرافي، ص ٣٤٥، القهواتي، دور البصرة، ص ٢٨٨.

(٢) قوتها (٥٠) حصاناً وقيل (٦٠) حصاناً وحمولتها بين (١٠٠-١١٥) طناً.

بصره ولايتي سالنامه، دفعه ٢، ص ٣٣٢.

(٣) قوتها (٥٠) حصاناً أما حمولتها بين (١٠٠-١١٥) طناً.

بصرة ولايتي، سالنامه سي، دفعه ٢٢، ص ٣٣٢.

(٤) قوتها (٨٠) حصاناً وحمولتها تتراوح بين (١٠٠-١٩٠) طناً لمنسوب مياه نهر دجلة الزوراء، ٥٣٩، ٢٠ ربيع الآخر ١٢٩٢هـ.

(٥) الحميدية نسبة إلى السلطان عبد الحميد، والبرهانية، وشيدها عام ١٩٠٤ على أساس حمولة قصوى قدرها (٢٣٠) طنًا لكل منها بموجب العقد المبرم مع الشركة المجهزة ولكنهما كانتا لا تستطيعان حمل أكثر من (٢٩٠) طناً في أحسن الأحوال، أما الإدارة فأنها لا تجازف في شحنها بأكثر من (١٦٠-١٧٠) طناً، بسبب قلة منسوب المياه في نهر دجلة وكانت الباخرتان مزودتان بمستودع للفحم يسع (٣٥) طناً في حين كانت كل باخرة منهما تستهلك ما مقداره (١١٠)، من الفحم في رحلتها بين البصرة وبغداد =

وهناك سفن أخرى ملك شركة لنج هي: خليفة[1] - مجيدي[2] - كلنار - بولص لنج.

= ذهاباً وإياباً وكانت تتزود بالفحم في محطات الوقود في الكويت أو العمارة أحياناً. القهواتي، ص ٢٦٦، هامش ٢٣١.

(٦) شيدت عام ١٨٥٩ بقوة أربعين حصاناً وحمولة (٣٠) طناً.

تقرير القنصل البريطاني في بغداد، الرقم ٦٠٥ والمؤرخ في أيلول ١٨٨٨ المقدم إلى وايت.

(٧) للاستزادة أنظر: القهواتي، دور البصرة التجاري، ص ٢٤٩.

(١) كانت تحتاج إلى قدم وسبعة أنجات من الماء كغاطس، حمولتها (٣٥٠) طنًّا وقوتها مائة حصان ومعدل سرعتها (١٤) ميلاً في الظروف الاعتيادية باشرت العمل في عام ١٨٨١، القهواتي، بصرة، ص ص ٢٢٢-٢٢٣.

(٢) كان طولها (٢١٥) قدماً وعرضها (٣٥) قدماً وحمولتها (٢٧٣) طنًّا وهي تشبه إلى حد كبير باخرتها الأخرى خليفة، ص ص ٢٢٤-٢٢٥.

المراقد والقبور لمشاهير الإسلام الموجودة في البصرة

- مرقد الزبير في بلدة الزبير.
- مرقد طلحة في بلدة الزبير أيضاً.
- مرقد الصحابي أنس بن مالك في الزبير.
- مرقد الحسن البصرى من التابعين الكرام في الزبير.
- مرقد محمد بن سيرين مفسر الأحلام في الزبير.
- مرقد عقبة بن غزوان أيضاً في بلدة الزبير.
- مرقد عبد الرحمن بن عوف الصحابي في أبي الخصيب.
- مرقد يحيى بن موسى من أولاد الإمام محمد الجواد عليه السلام في قرية الصنكر.
- قبر المقداد بن الأسود الكندي من أصحاب حضرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قرية الصنكر.
- مرقد أحد أولاد عقيل بن أبي طالب في كوت الزين.
- مرقد سهل بن عبدالله التستري في المطوعة.

ومن الأماكن المباركة في البصرة مقام حضرة أمير المؤمنين عليه السلام في مقام علي، والمسجد الخرب المعروف بجامع علي بين البصرة

والزبير، وغير هذا كثير من قبور مشاهير الإسلام متفرقة في بساتين نخيل البصرة وقد خرب أصحاب البساتين أكثرها بالتدريج وأدخلوها في بساتينهم.

قرى البصرة التي لها
مدير تابع للحكومة المحلية

الفاو[1]:

كانت أول مديرية - وقد عين لها قائمقام منذ عدة سنوات بالنظر لأهمية موقعها، تقع هذه النقطة على الساحل الغربي من شط العرب، وتنتهي من الناحية الجنوبية بالبحر.

يتمركز فيها مفرزة عسكرية لها استحكامات وقلعة مع عدة مدافع، ومكتب تلغراف للحكومة المحلية، ومكتب تلغراف آخر للإنكليز ومتصل بسلك تحت البحر.

وليس في الفاو بيوت وعمارت لأن جميع ساكنيها فلاحون، وعدد سكانها حوالي (٢-٣) ألف شخص، وأغلبهم من العشائر.

أبو الخصيب:

تقع في الجهة الجنوبية من البصرة وعلى الناحية اليمنى من شط العرب، وتبعد عن المدينة ساعتين أو ثلاث ساعات، جميع محلات أبي الخصيب بين بساتين النخيل والحدائق، وهي أكثر أماكن منطقة

---

(١) اسم استخدمه الأوروبيون للإشارة إلى محطة التلغراف قرب مصب شط العرب.

البصرة زرعاً، وأهلها أغنى أهل المدينة، فيها عشرون مسجداً وسوقان - ومائتا دكان، ومدرسة رشدية، ومدرسة ابتدائية، وإدارة للبلدية أسست حديثاً، ومكتب تلغراف، وسكانها ستة آلاف شخص تقريباً، وفيها مباني حسنة.

شط العرب - الهارثة:

تقع هاتان النقطتان بين بساتين النخل، ولكل منهما مدير تابع للحكومة، وجميع سكانهما فلاحون، وليس فيهما ما يستحق الذكر.

الزبير[1]:

تقع في الجهة الغربية من البصرة، وتبعد عن المدينة فرسخين أو ثلاثة فراسخ، تحيط بأطرافها الصحراء القاحلة، وأرضها تتكون من رمل خشن، **وساكنوها جميعاً نجديون** وبدو وأبنيتها في الغالب من الحجارة والجص، ويصنع الجص فيها بكثرة، وليس فيها نخيل.

يشرب الناس هناك في الشتاء من مياه المطر التي تجمع في المنخفضات، وفي الصيف يشربون من مياه الآبار، وينتج هناك كثير من الشمام (البطيخ) في الربيع والخريف، وبطيخها حلو جدًّا ولذيذ الطعم ومشهور في تلك النواحي، يظهر في صحرائها كمأة كبيرة.

وفي الزبير خمسة عشر مسجداً، وسبع مدارس (كتاتيب)، ومدرسة ابتدائية، وألف وخمسمائة منزل، سكانها - تخميناً - ستة آلاف شخص، فيها قبور بعض مشاهير الإسلام.

---

(١) الزبير: يقال بأنها تأسست عام ٩٧٩، بإشارة من السلطان سليم بن سليمان القانوني، يوسف حمد البسّام، الزبير قبل (٥٠) عاماً، ص ٣٣.

القرنة:

هي قصبة صغيرة، تقع شمالي البصرة عند ملتقى نهري دجلة والفرات قراها المشهورة هي: بنو منصور - المدينة - النشوة - الدير - جميع سكانها (٢٥) ألفاً، وأهلها كلهم مزارعون وفلاحون ونساجو عباءات، وفي القرنة دار للحكومة، وكتب تلغراف، ومسجد، ومدرسة ابتدائية - وحوالي (٣٠٠) منزل وبيت من قصب، و(٢٥-٣٠) دكان.

الموقع الطبيعي لهذه القصبة حسن جدًّا، إذ يصل أهلها إلى أنهار دجلة والفرات وشط العرب.

أن جميع القرى المذكورة هي مديريات ما عدا الفاو والقرنة فيهما قائمقاميتان والمدير في التقسيمات الإدارية العثمانية، درجة رابعة على هذا الترتيب:

مدير - ثم قائمقام - ثم متصرف - ثم والي - ولا يوجد في الحكام العثمانيين أقل درجة من المدير، وفي الواقع فإن المدير هو بمنزلة المختار (كتخدا) أو الضابط.

في منافع النخل الكثيرة واستفادة أهل البصرة منها:

النخلة شجرة كثيرة البركة، ويمكن القول أنها أكثر فائدة من أغلب نباتات وجه الأرض، وتتأثر أمور معيشة أهل البصرة وحياتهم بالنخيل وينتفعون بأقسام كثيرة من هذه الشجرة المباركة، من جملتها: الحطب ويأخذونه من جذوعها وسعفها وكربها، ويصنعون من خوص النخل - وهو ورق الشجرة - الحصير والزنبيل، والقفف، والسلال، ومراوح اليد، والحبال، وأوعية التمر، ويصنعون من أغصان النخيل كراسي للجلوس عليها، وأقفاص للطيور، ومهوداً للأطفال، وأسرة للنوم، ويفتلون من ليف النخل حبالاً، ويقطرون من غلاف طلع النخل عرقاً،

يعرف هناك بعرق الطلع وعرق اللقاح (ماء اللقاح)، وهو مفرح للقلب ودافع للرياح جدًّا، وغالباً ما يعالج أهل قرى البصرة والبدو مرض القلب به، ويشربون من ذلك العصير الجيد تفنناً، وفي الصيف يمزجون منه مقداراً مع ماء الشرب لإصلاح طعم الماء.

ومن متعلقات النخل أيضاً «الجمار» وهو لب رأس النخلة، فكل نخلة تسقط بفعل الريح، أو يسقطونها هم حسب اللزوم، يستخرج القرويون لب رأسها ويهدونه إلى شيوخهم وأصدقائهم، وهو شيء لذيذ الطعم.

وبعضهم يصنع منه حلوى أو مخللاً (طرشي)، ويعمل القرويون من جذوع النخل أيضاً سقوف بيوتهم، وفي السابق كانت الأخشاب الحرجية المعروفة بـ«جندل» قليلة وتأتي من الهند وزنجبار وكان أهل المدينة أيضاً يعملون سقوف منازلهم في الغالب من الجذوع، وإلى الآن ما يزال بعض سقوف البنايات القديمة من الجذوع، وفاكهة النخيل التي هي «التمر» يعرف كم هي فائدته، فالتمر يقف وحيداً يدافع عن وطنه ضد كل هذه الأمتعة (البضائع) وأموال التجارة الأوروبية، يعني أن التمر يستعيد في وقت محصوله كل الذهب والفضة التي خرجت من بلاده ثمناً للبضائع الأوروبية، ثم يوزعها على مربيه وأهل بلاده، ويؤمن لمواطنيه العيش والراحة.

والخلاصة، فإن مدار حياة اهل البصرة منوط بمصدر (نبع) الثروة هذا وقد حافظت هذه المادة المباركة حتى الآن على ثروة هذه المنطقة من نهب الأجانب.

تربية النخل وخصائصه:

كيفية غرس وتربية النخيل في البصرة هي هكذا:

«ينمو حول النخلة الشابة التي تسمى باصطلاح أهل البصرة «نشوة» - بحكم الطبيعة - نخلات صغار هي من جنس أمها «النشوة» ويسمي فوريو البصرة هذه النخلات الصغار «الفرخ»، وكل فرخ يصير قويًّا وقابلاً للغرس يقتلعونه من جذور أمه «النشوة» ويغرسونه مستقلاً في مكان آخر، وهم يبسطون الأرض ويمهدونها من أجل زراعة غراس النخيل، ويحفرون الأنهار والجداول فيها بالقدر الكافي، ويزرعون الفرخ قريباً من حافة مجرى الماء، ويصفون الغراس في صفوف حتى تكون جذورها مرتوية دائماً، لأن النخيل يضعف من قلة الماء أو من كثرته، ويتركون مسافة ستة أمتار أو اثني عشر ذراعاً بين كل نخلة واخرى، وإذا كانت أقل من ذلك يضعف النخيل، ويعطي ثمراً قليلاً، ويثمر النخل في السنة الثالثة من عمره في الأراضي الجيدة ويصير ثمره كاملاً في السنة الثانية عشرة من عمره.

كيفية تعمير بستان النخل في البصرة هي كالآتي:

يقلبون أرض بستان النخل بالفأس مرة كل أربع سنوات فيجعلونها عاليها سافلها، ويسمون ذلك «الكسور والنشور» وفائدة ذلك أن النخل بواسطة الكسور والنشور، ينشر جذوره في الأرض فيقوى، ويكثر ثمره، وإذا لم يعملوا ذلك (الكسور والنشور) وتركوا النخل على حاله، فإن الحشائش البرية - مثل السوس والحلفة - وغيرها تنمو في البساتين، وتحيط بجذور النخل فتضعفه، وتمنعه عن الأثمار شيئاً فشيئاً.

وفي الأراضي الضعيفة يحفرون وقت الكسور والنشور حول جذور النخلة صغيرة بمقدار متر يضعون فيها روث البقر لتغذية النخلة (إذ تغل بساتين النخل في البصرة من روث البقر) ويسمون ذلك «التسميد» ويقوى

النخل بالتسميد ويكثر ثمره، وأما الأراضي البكر والقوية فلا تحتاج إلى ذلك، ويكتفون فيها بالكسور والنشور.

ثم هم يداومون على تنظيف أنهار بساتين النخل وجداولها حتى لا ينقطع الماء عنها، ولكي يرتوي النخيل في كل فصل فلا يذبل من العطش ويموت.

وعندما يخرج النخيل الطلع يلقحونه، والتلقيح هو أن يقطعوا طلع النخل الفحل، ويضعوه فترة قصيرة بين طلع كل نخلة وأخرى، وإذا لم يلقح النخل يفسد ثمره ولا ينتج ثمراً، والنخل الفحل هو النخل الذكر وهو قوي وضخم، ويستطاع تمييزه بملاحظة قليلة من بين سائر شجر التمر، وطلع النخلة الفحل لا يصير تمراً، بل يستعمل للتلقيح فقط، ويوجد النخل الفحل في كل بستان نخل بأعداد متفاوتة، وإذا لم يكن في إحدى البساتين نخل فحل يكفي للتلقيح فإنهم يشترون طلع الفحل من بساتين أخرى.

ويكون طلع النخيل في البداية أبيض، ثم يصير لونه أخضر وطعمه قابض (مز) ثم يصير أصفر وحلواً ويسمى «خلال»، وبعض الخلال يصير لونه قرمزيًّا، وعندما ينضج الخلال قليلاً يصير رطباً، وهو بين الخلال والتمر، وهو لذيذ جدًّا، ثم يصير تمراً، ويستمر من وقت تفتح النخيل حتى نضجه مدة ستة شهور، وإذا زرعت نواة التمر تصير نخلة، أما نوع تمرها فيكون مجهولاً، فمثلاً تنبت نواة التمر الحلاوي أو الخضراوي أو غيرهما فتصير جنساً آخر، ولا يكون من نوع الحلاوي أو الخضراوي إلا الفرخ، يعني أن الفصيلة من أي جنس من النخيل يكون تمرها من الجنس نفسه، أما النواة فعلى خلاف ذلك.

وأكثر تمور البصرة هي الساير ثم الحلاوي ثم الخضراوي وبعده الزهدي ثم القنطار، ومدار تجارة التمر على هذه الأنواع الستة، وهي

التي تحمل إلى الخارج، وكل منها يفضل في منطقة، فمثلاً يحمل الحلاوي والخضراوي على الأغلب إلى فرنسا وأمريكا، والزهدى إلى الهند، والقنطار - على الأكثر - إلى موانئ الخليج العربي، والديري والساير إلى عُمان واليمن وبقية مناطق الجزيرة العربية.

وتوجد أنواع أخرى كثيرة غير ما ذكر، ولكنها تستهلك - لقلتها - في البصرة نفسها والعراق العربي ولا تحتمل إلى الأقطار البعيدة، ويخزنها أصحاب الأملاك لاستهلاكهم المنزلي الخاص.

ويوجد نوعان أو ثلاثة أنواع من التمر يقطعونها من النخل بعنقها قبل أن تصير رطباً وتمراً، ويضعونها في قدر على النار ويطبخونها، ثم يجففونها ويأكلونها، وهي لذيذة الطعم (ويسمى خلال مطبوخ).

ويستخرجون من التمر عرقاً مسكّراً، وخلاً جيداً، ويصنعون منه الدبس أيضاً، وكيفية ذلك هي أن يضعوا التمر بعد قطفه في خزان يشبه الحوض، ثم يعرضوه للشمس، وفي طرف الخزان السفلي ثقب موصول بحوض صغير آخر، أو بوعاء خزفي موضوع على الأرض (تحت الثقب)، فتسيل عصارة التمر شيئاً فشيئاً من ثقب الأناء العلوي الذي يسمى «مدبسة» إلى الوعاء «السفلي» فيأخذونه ويستعملونه، وثمن الدبس بالبصرة أغلى من ثمن التمر ويزرعون بين بساتين النخل في البصرة القمح والشعير وأكثر أنواع الحبوب وأشجار الفاكهة الأخرى.

والبرد الشديد مضر بالنخيل وكذلك الحرارة المفرطة، وتنتج النخلة الشابة القوية التي تخدم جيداً حوالي منين بصريين من التمر، والمن البصري ستون حقة استنانبولية، والحقة الاستانبولية بأربعمائة درهم.

أنواع التمور:

الساير أو العمران - الحلاوي - الخضراوي - القنطار - الديرى أو طيب الاسم - الزهدى - البريم - البرحى - الليلوى - الجوزى -

الخصاب - الأشقر - السكر - أصابع العروس - دكل موسى - عويدى - إسحاق - دور آو - الخلاص - أم النجور - نباتي - بنت السبع - عز الدين - عويمرى - دكل عباس - الفرسي - المكتوم - أم الدهن - الهدل - دكل جمعة - الكبكاب - الدعيلي - حزيمى - مرزبان - خنيزى - حساوي - شعراني - بنت الصفراء - حلاى - أشهل.

الزراعة

يمكن الزراعة في البصرة في أي فصل من الفصول بسبب قوة الأرض ووفرة المياه، ولكن الزراعة الرئيسية تكون في الشتاء والصيف، والزراعة الشتوية في هذه النواحي هي من الحبوب: القمح والشعير.

ومن البقول: اللفت (شلغم) والجزر - والشمندر - والبطاطا - واليقطين (الشجر) والفول.

ومن الخضروات: الكرنب - والخس - والبقدونس - والحلبة - والسبانخ - والفجل وغير ذلك.

أما الزراعة الصيفية في هذه المناطق فهي:

من الحبوب: الأرز - والذرة البيضاء - والذرة الصفراء - واللوبياء - والسمسم - والقنب - والعدس.

والخضروات: الرقي - البطيخ - والخيار - والثوم - والبصل - والقرع - والباذنجان - والطماطم - والبامية التي تزرع في البصرة صيفاً.

أما الخيار والبطيخ فيزرعان في البصرة مرتين في السنة في الربيع وفي الخريف، وتزرع بعض الخضار مثل النعناع والفجل وأمثالها في الحدائق، وتزرع جميع هذه الحبوب والخضار المذكورة في بساتين

النخيل بالبصرة، ما عدا الأرز والذرة البيضاء والعدس والحمص فأنها من إنتاج مدينة العمارة وسوق الشيوخ والغراف[1].

المنتجات الزراعية البصرية التي تدخل سوق التجارة هي: القمح - والشعير - والأرز - والذرة البيضاء.

ويزرع الفلاحون بالبصرة مقداراً من القمح والشعير في بساتين النخل لاستهلاكهم الخاص، وفي السنوات الجيدة - إذا نزل نطر غزير - تنتج الحبة أربع حبات أو خمس حبات، أعني إذا بذروا مناً واحداً من القمح أو الشعير يحصدون أربعة أمنان أو خمسة، وسبب ذلك أن الأرض في بساتين النخيل تتلقى قليلاً من أشعة الشمس، ولذلك تكون الزراعة فيها ضعيفة.

والزراعة الشتوية في البصرة وقراها جزئية ولا تكفي استهلاك الفلاحين السنوي، ولا تمكن زراعة الأرز في بساتين النخيل، وذلك لأن الأرز يحتاج أن يبقى الماء - بواسطة المطر، أو فيضان النهر - مدة من الزمن، وأن تغمر الأرض المزروعة بالأرز بالماء، وبعبارة أخرى أن تكون الأرض كالمستنقع، وهذا الأمر مفيد للأرز، ومضر للنخيل، وينتج الأرز بكثرة في العمارة والغراف، ويشرع في زراعة الأرز هناك بعد انتهاء أربعينية الشتاء في أواخر شهر شباط وهو موسم فيضان نهري دجلة والفرات، وتنتهي عملية حصاده مع نهاية شهر حزيران، ومعنى ذلك أن المدة اللازمة لنضوجه منذ وقت بذره حتى حصاده هي أربعة أشهر.

ويزرع في هذه الجهات قسمان من الأرز: الأول يزرع حسب القاعدة المعروفة وهي أن يبذر الحَبْ حتى يصير سنابل ويأتي وقت حصاده، والثاني يسمونه شتال، وطريقته هي هكذا: بعد أن يبذر الحَبْ ويصير

---

(١) الغراف: اسم لأحد أقسام المنتفق، تنشط فيه الزراعة كثيراً (المؤلف).

طول نباته بمقدار شبر أو حوالي ذلك، من الأرض ويغرسونه في مكان آخر، وهي الطريقة الأفضل.

وتنتج الحبة في العمارة والغراف - حيث توجد المزارع الكثيرة - من أربعين وخمسين حبة إلى مائة حبة، حسب الزمان والمكان.

وينتج في مدينة العمارة والغراف نوعان من الأرز:

أحدهما يسمى: «عنبري الرائحة»[1]، والثاني يسمى «البصري» وعنبري الرائحة هو أفضل أنواع الأرز في هذه النواحي.

أما الحمضيات من قبيل الليمون - والبرتقال - والنارنج - اللالنكي (الماندلينا) وأمثالها فهي قليلة في البصرة، ويجلبون أغلبها من بغداد، أما الفاكهة الأخرى مثل: المشمش - والخوخ - والرمان - والسفرجل - التفاح - والعنب - والتين، فهي بالبصرة كثيرة، وكلها جيدة ما عدا السفرجل، ويزرعون هذه الفاكهة بين بساتين النخيل.

ويبدأ بذر البذور للزراعة الشتوية في جميع هذه المناطق في برج العقرب، وينتهي العمل في برج الجوزاء بالحصاد وقطف العناقيد، أو جني السنابل، ويستغرق ذلك من أول الزراعة حتى ظهور المحصول ستة أشهر تقريباً وذلك مثل أكثر بلاد إيران.

التجارة:

يتاجر تجار العراق إجمالاً على وتيرة واحدة ونسق واحد، وتجار هذه المناطق على قسمين:

القسم الأول: منهما، هم وكلاء (وسطاء) يشترون ويبيعون لتجار آخرين، ويأخذون (٢٪) من الربح الصافي بعد خصم المصاريف، مقابل أتعابهم.

(١) يسمى اليوم في البصرة بالرز العنبر.

والقسم الثاني: يمارسون التجارة لحسابهم الخاص مستقلين، وناتج العمل ومقابل الأتعاب يكون في هذه الحالة أكثر، لأن أغلب التجار يجنون المنافع ويبتعدون عن الأضرار.

والتجارة بالبضائع المحلية أكثر ربحاً من التجارة بالبضائع الأجنبية، ويتدخل الوسطاء (الدلالون) في المعاملات التجارية، ويتقاضون (½ ٪) من البائع و (½ ٪) من المشتري عمولة (أجرة دلالة) ويتقاضى بعضهم العمولة كاملة (١٪) من المشتري، فمثلاً، لا يدفع البائع في معاملات التمر شيئاً للوسيط، بل يدفع المشتري العمولة كلها (١٪).

وتنحصر تجارة القماش في البصرة بالطائفة اليهودية تماماً، وليس لأحد غيرهم يد في هذا الفرع من التجارة، كما تنحصر فيهم مهنة الصيرفة وبيع البراءات المالية (الكمبيالات)، ولكن ضعف عمل الصرافين اليهود منذ سنتين بسبب افتتاح فرع البناء العثماني في البصرة،[1]، وهذا البنك لا يرتبط بالعثمانيين على الرغم من أن اسمه «عثماني» بل هو أجنبي، مثل البنك الشاهنشاهي في إيران.

اليهود الذين هم تجار القماش لهم شركاء ووكلاء من ملتهم في لندن وبعض النقاط المهمة الأخرى في أوروبا، فأي بضاعة يريدونها، يبرقون إلى وكلائهم أو شركائهم، وهؤلاء يتصلون بأصحاب مصانع القماش، فيعدون ما يوافق ذوق وطبيعة الناس ويرسلونه، ولا تستطيع أي طائفة في البصرة أن تنافس اليهود في تجارة القماش.

يتدخل يهود هذه المدينة اليوم في كل فرع من فروع التجارة والكسب ولا يتورعون عن أكل أموال الناس، ولكن يوجد بينهم تجار محترمون وأغنياء.

---

(١) كان موقعه مقابل الجسر العتيق وهو أول جسر شيد على نهر العشار.

أما التعامل مع الشركات الأجنبية في البصرة فيتم بهذا الشكل، وهو أن تاجراً مثلاً يطلب من إحدى الشركات سكراً بخمسمائة تومان، ويشترط أن تصل البضاعة المطلوبة في مدة ثلاثة شهور، ويجري تبادل الوثائق بين الشركة والتاجر، فيأخذ وكيل الشركة من التاجر ($\frac{1}{10}$) ثمن البضاعة مقدماً، ويرسل برقية إلى وكيله في أوروبا يأمره أن يرسل ما قيمته خمسمائة تومان من السكر بإسم وعلامة التاجر الفلاني في المدة المعينة، وعندما تصل البضاعة إلى البصرة تأخذ الشركة باقي حسابها من التاجر، وتسلم التاجر ورقة موجهة إلى الكمرك تقول:

أن البضاعة ذات العلامة الفلانية هي مال التاجر الفلاني، فسلموها له، فيذهب التاجر عندئذ بالورقة إلى الكمرك ويستلم بضاعته بعد دفع الرسوم وإيفاء المعاملة الكمركية، وكثيراً ما يحدث أن يبيع التاجر البضاعة التي يشتريها قبل أن تشحن من لندن.

أما العرب فأغلب معاملاتهم في بيع المتاع والأطعمة، وكذلك التجار الإيرانيون، وأقصد هنا بسقط المتاع: سكر القوالب - والشاي - والسكر - والقهوة - والفلفل - والعصفر - والليمون العماني[1] - والتمر الهندي وأمثال ذلك.

أما النصارى، فقسم منهم يمتلك دكاناً في السوق يبيعون فيه الأطعمة، وبعضهم من الذين يعرفون اللغات الأجنبية يستخدمون في الشركات الأجنبية.

أما البزازون فأغلبهم إيرانيون ويهود، ويتكوّن أهل السوق والحرفيون في البصرة من العرب البصريين والبغداديين وبعض الأكراد والإيرانيين.

ويوجد في البصرة طائفة من العرب من أهل الغراف تعرف بإسم

---

(١) الليمون العماني- ما يسمى بالعامية «نومي بصره» وهو الليمون الجاف.

«خوات رزنة» يسكنون خارج المدينة في خيام سود وأكواخ من القصب، يأتي الرجل والمرأة منهم في النهار إلى المدينة، فيعملون إجراء في الحِملْ والأعمال البسيطة بأجر زهيد، ويعودون في الليل إلى منازلهم، ويؤدون للناس أعمال كثيرة.

والمواد المهمة التي تدخل في التجارة الداخلية هي: التمر - القمح - والشعير والذرة البيضاء - والأرز - والصوف، ففي موسم التمر يعقد الملاكون المعتبرون إجتماعاً في البصرة أو في أبي الخصيب، ويحضره عدد من التجار الأوروبين المعتبرين، ويناقش الحاضرون في هذا الاجتماع أسعار التمور مع الملاكين، ويقرر سعر تمور الحلاوي - والساير - والخضراوي - والزهدى - التي عليها مدار تجارة التمر، وعندئذ يقيم تجار التمر محوطة كبيرة من القصب والحصير في بساتين النخيل تسمى «جرداغ» يجتمع في الجرداغ عدد كبير من العمال، يعبئون التمر في الصناديق والأوعية والعلب، فالملاكون يرسلون التمر إلى الجردغات ويأخذون وصلاً (وثيقة إستلام)من أصحابها وبعد إنتهاء عمل الجرداغ يرسل (الملاك) سنداته ويقبض النقود حسب السعر المعين، ويقرر سعر التمر (أو ثمنه) على حساب الشامي، والشامي هو مسكوكات عثمانية كانت في السابق متداولة في البصرة، وهي اليوم منسوخة وكل شامي يعادل (٣,٥) قران.

ومهما قطع وفصل في سعر التمر، فأنه لا يبقى على حالة واحدة، فحيناً يرتفع وحيناً ينخفض.

المدن الداخلة في نطاق ولاية البصرة

المنتفق:

يحد هذه البلاد من الجهة الشمالية والشرقية ولاية بغداد ومن الطرف الغربي صحراء جزيرة العرب التي يقال لها بادية الشام، وتتصل من جهة الجنوب بمدينة العمارة، طول هذه المنطقة أكثر من ثلاثين ساعة، وعرضها سبع ساعات أو ثمان.

والمنتفق اسم بلاد واسعة[1]، مركز متصرفها «الناصرية»، وهو مأخوذ من اسم ناصر باشا شيخ المنتفق الأسبق الذي كان والياً على البصرة في وقت من الأوقات، وفي المنتفق نهران، أحدهما نهر الفرات الذي يمتد من الشمال إلى الجنوب، ويجري في وسط المنطقة، والآخر نهر الغراف وهو مقابل «كوت الإمارة» التي هي قصبة تابعة لبغداد، يتفرع من نهر دجلة ويصب في الفرات وسبب تسمية هذه المنطقة بالمنتفك، أنها

(١) ورد في مجلة لغة العرب أن ربوع عشائر المنتفك، تمتد من الناصرية وبينهما شطرة المنتفق والحمار وسوق الشيوخ والبطحاء والبدعه وبني أسد وبني سيد والمشارقة وقلعة صقر والغراف...، لغة العرب ج٢، آب سنة ١٩١١، ص ص ٥٠-٥١، وصحح ذلك الشيخ محمد رضا الشبيبي في عدد لاحق من المجلة، بغداد وربوع المنتفك، البطيحة هي اليوم اول بلاد المنتفق.

مساكن عشائر المنتفق منذ القديم إلى الآن، ولا يوجد في هذه المنطقة جبل، ولكن فيها مستنقعات كثيرة يقال لها «الأهوار» وطقس هذه المنطقة جيد إلا في بعض المناطق المحاطة بالهور، فجوها فاسد، ويولد الأمراض.

ومزارع المنتفق كثيرة ومراعيها جيدة، وتكثر فيها المواشي من قبيل البقر والخراف وأمثالها، وكذلك الطيور مثل البط وغيرها، وكان فيها في السابق حيوانات مفترسة مثل الأسد والنمر، ولكنها انقرضت بسبب انتشار العمران.

وأراضي المنتفق صالحة جيداً للزراعة، ومحصولاتها الرئيسة هي القمح، والشعير، والذرة، والسمسم، والذرة البيضاء، والعدس، والأرز، وفيها بعض بساتين النخيل، **والزراعة فيها على نوعين**: يقال للأول «كبسي» وللثاني «مائي»، فالمائي زراعة تقوم على ماء النهر، والكبسي هو أنهم يزرعون ويبذرون في وقت فيضان النهر الذي يغمر بمائه جميع الصحارى، وفي الغالب أنهم يزرعون سنة زراعة مائية، وأخرى زراعة كبسية والزراعة الكبسية هناك كثيرة البركة.

أما الحمل والنقل في المنتفق فيتم بواسطة السفن الشراعية ونوع من البلم كبير جدًّا، وفي المنطقة ثلاث قائمقاميات، هي: الحي، والشطرة، وسوق الشيوخ، سيأتي ذكرها في مكانه، ويبلغ عدد سكان المنتفق - تخميناً - ١٧٠ ألف نفس، وكلهم قبائل وعشائر عربية، يسكن بعضهم في المدن والبلدات، والباقي يعيشون في خيام سود وبيوت من قصب.

الناصرية[١]:

مركز حكومة المنتفق، إذ هي مقر متصرف المنطقة، وتقع على

(١) أسسها ناصر السعدون، وقد أقيمت على ضفة الفرات الشرقية، وقرب هذه المدينة =

شاطئ الفرات، ومبانيها عبارة عن: سراي للحكومة، ومدرسة رشدية، ومدرسة ابتدائية، ومسجدين، وخمس حمامات، وألف منزل وبيت من قصب، وأربعمائة دكان، وعدد من الأسواق الصغيرة، سكانها حوالي (٦-٧) ألف ما بين غريب وأصيل (أي من ابنائها أصلاً)، ومن نواحي الناصرية التي هي مديريات البطيحة، وآل زبرج.

سوق الشيوخ[1]:

قائمقامية من ملحقات المنتفق، تقع إلى الجنوب من الناصرية وتبعد عنها (٥-٦) ساعات، فيها مقر حكومي ومكتب تلغراف، وثلاثة مساجد، ومدرسة ابتدائية، وأربعة أسواق، وأربعمائة دكان، وحمام واحد، وستمائة منزل وبيت من قصب، وسكانها حوالي (٥-٦) آلاف شخص، أما طقس سوق الشيوخ فليس له تعريف، ومن نواحيها المديريات: الحمّار - وكرمة بني سعد.

= مصب الغراف، طم أو كادَ يطم، وخططها مهندس بلجيكي جولوس تيلي Jules Tilly عام ١٨٦٩، وأول من بنى فيها داراً للسكن هو نعيم سركيس الحلبي الأصل (والد يعقوب سركيس) لأنه كان أميناً لخزانة ناصر باشا السعدون، أنظر: لغة العرب، محمد رضا الشبيبي، ج٦، كانون الأول ١٩١١، ص ٢١٩.
لغة العرب، العدد ١، تموز ١٩١٢، ص ٢١.

(١) بعد أن توفي الشيخ بندر رئيس عشائر المنتفق ١٨٦٣ عين نامق باشا والي بغداد الشيخ منصور رئيساً لتلك العشائر وليكون أول قائمقام عثماني في أقليم المنتفق على أن يتخذ مركزه الإداري في سوق الشيوخ إلى أن أخاه ناصر كان يؤلب عليه العشائر ويتحين الفرص ليحل محله ويبدو أنه كان يتلقى الدعم والتأييد من المعتمد السياسي البريطاني في بغداد.

الشطرة[1]:

وهذه البلدة قائمقامية أيضاً، تقع على شاطئ نهر الغراف وتبعد عن الناصرية (٥-٦) ساعات، فيها مقر للحكومة، وثكنة عسكرية، ومسجد، ومدرسة ابتدائية، وسوق واحد ومائتا دكان، وحوالي (٣٠٠-٤٠٠) منزل، وسكانها - تخميناً - (٤-٥) آلاف شخص، ومن نواحيها المديريات: بدعة - دجة - شط الكار.

الحي[2]:

بلدة تقع على شاطئ نهر الغراف، وهي قائمقامية، طقسها جيد، وتبادل (تجارة) الحبوب والأطعمة فيها رائجة، عمرانها عبارة عن دار للحكومة، ومكتب للتلغراف، وثكنة عسكرية، ومدرسة رشدية، وأخرى ابتدائية، و(٥٠٠-٦٠٠) منزل، وسوق واحد، ومائتي دكان، وحمامين، وسكانها (٥-٦) آلاف شخص.

في هذه البلدة مزار الصحابي ابي ذر الغفارى، وأبي العلي، وسعيد بن جبير، وعلى بعد (١٢) فرسخاً من الحي مرقد السيد أحمد الرفاعي

---

(١) لوريمر، القسم التاريخي، ج٤، ص ٢١٠٠-٢١٠١.
كانت تسمى الفاحلية نسبة إلى فالح باشا السعدون.
ويتشعب نهر الغراف إلى شعبتين قبل وصوله إلى الشطره ستة كيلو مترات وتذهب الشعبه الكبرى منها إلى الحمار وتصب الثانية بظهر الناصرية في شعبة من شعب الفرات وعلى هذه الشعبة الصغيرة يقع بلدة الشطره، الشبيبي، لغة العرب، ج٦، كانون الأول ١٩١١، ص ٢٢٢.

(٢) الحي من مدن الغراف المهمة، تقع على ضفته الغربية وتبعد عن قلعة سكر ثماني ساعات أيضاً.
الشبيبي، لغة العرب، ج٦، كانون الأول ١٩١١، ص ٢٢٤.

رأس الأسرة الرفاعية، ومن نواحي «الحي» المديريات: قلعة سكر[1]، ومحيرجة.

«العمارة»

العمارة من المدن الداخلة في نطاق البصرة الإداري، تنتهي حدود منطقتها شمالاً بولاية بغداد، وجنوباً بالبصرة، وشرقاً بالأراضي الإيرانية، وغرباً بالمنتفق.

طولها (٣٦) ساعة وعرضها (٨-٩) ساعات تقريباً، ويجري في وسطها نهر دجلة فيروي أراضيها، وعلاوة على ذلك فإن أنهاراً كبيرة وصغيرة تتفرع من دجلة وتتجه إلى شرقي هذه المنطقة وإلى غربها، ويأتي إليها أيضاً نهر الطيب - ونهر طويريج من عربستان وجبال بشتكوه، فيروبان أراضيها، ثم يصبان في الهور الواقع شرقي العمارة.

أراضي العمارة خصبة جدًّا، وأغلب محصولاتها الأرز، وأكثر مزارعها ملك الخاصة السنية - أي ملك السلطان العثماني - وتصدر منها كميات وافرة من الأرز إلى الممالك البعيدة سنويًّا، والمزارعون في العمارة لا يعتنون بإنتاج الحبوب الأخرى كما يعتنون بالأرز، لأن أكثر مزارعهم مغمورة بالماء وتصلح للأرز، وتوجد بساتين الفاكهة والنخيل في أطراف العمارة بمقدار كاف ويوجد فيها الحيوانات الأهلية: الجاموس والخروف بكثرة، وتصل الطيور بكثرة إلى أماكن القصب هناك، ويسكن في أطراف العمارة عشائر وأتباع آل بو محمد وبني لام، أما عدد سكانها مع جميع العشائر وتوابعها فهو (١٤٠) ألف تقريباً.

وتقع مدينة العمارة على الشاطئ الشرقي من دجلة، وهو مكان فيه

---

(١) قلعة سكر: بلدة تقع على ضفتي الغراف تبعد عن الشطره من جهة الشمال ثماني ساعات، وقد نسبت إلى سكر بن قلب، مؤسسها هو زعيم عشيرة تدعى (الطوقية).

صفاء وفي المدينة: دار الحكومة - وثكنة عسكرية - والإدارة السنية[1]، ومكتب تلغراف ومركز كمركي، والإدارة النهرية، ومدرسة رشدية، ومدرسة ابتدائية، ومسجد واحد وكنيسة واحدة، وسوق واحد، ومائة وخمسون دكاناً، وثلاث حمامات، وألف منزل ما عدا بيوت القصب، وسكانها من (٨-٩) آلاف شخص، وكثير من التجار والكسبة فيها أكراد من أهل دزفول[2]، وفيها «قائم بالأعمال» من قبل إيران.

ويستغرق الذهاب من البصرة إلى العمارة (٢٤) ساعة، ويستغرق الأياب مدة الإياب (١٢) ساعة بسبب جريان الماء، ومن نواحيها المديريات: علي الغربي - وعلى الشرقي - والمجر الكبير - والمجر الصغير، ومن ملحقاتها القائمقاميات: الشطرة - الزبير - الطويريج.

الشطرة: تقع جنوبي العمارة على شاطئ دجلة الشرقي، وتبعد عن العمارة أربعة فراسخ، فيها دار للحكومة، ومكتب للتلغراف - ومسجد - ومدرسة ابتدائية - ودائرة وكالة السفن - ومكتب كمرك صغير - وسوق صغير - وثلاثمائة منزل - وسكانها حوالي ثلاثة آلاف شخص.

الزبير - طويريج[3]: هاتان نقطتان تقعان وسط العشائر وليس فيهما ما يستحق الذكر.

نجد

اللواء الثالث الذي يتبع البصرة هو «نجد» وهذه المنطقة ليست

---

(١) الإدارة السنية: دائرة حكومية تتولى الإشراف على أملاك السلطان.

(٢) دزفول: مدينة إيرانية في عربستان.

(٣) طويريج: تضم جزءاً كبيراً من الشهول طولها حوالي (٣٠) ميلاً إلى الشمال الشرقي من بلدة العمارة، سكانها حوالي (٥٠) ألف نسمة وهي تزرع الأرز والذرة والقمح.

لوريمر، ج١، جغرافي، ص ٤٩٦.

معروفة، والعثمانيون هم الذين وضعوا لها هذا الإسم، فمن المحتمل أن تكون جزءاً من نجد[1].

والخلاصة: أن هذه المنطقة التي يطلق عليها لفظ نجد تقع جنوبي البصرة، تنتهي حدودها من الشرق بالخليج العربي، ومن الشمال والغرب والجنوب بصحراء نجد، وهي منطقة واسعة جدًّا، جميع أرضها رمال وصحارى، وفيها مزارع قليلة، تتموج رمال صحرائها من شدة الريح مثل أمواج البحر، وليس فيها جبل أو غابة أو نهر، يكون هواؤها في الأماكن البعيدة عن البحر جافًّا وصحيًّا، ولكن جو ساحلها ردئ، وفيها من الحيوانات الأهلية الخيل - والحمير البيض - والأبقار - والجمال - وكثير من الأغنام - ويوجد في صحاريها الغزلان - والأرانب - والبقر الوحشي - والقط الوحشي، وبعض الحيوانات المفترسة.

يتم الحمل والنقل في هذه الصحارى بوساطة الجمال، أما في البحر فبوساطة السفن الشراعية، وجميع سكان المنطقة من البدو الرحل، ولا يعرف عددهم، ويتكون هذا اللواء من مدن هي: الإحساء - القطيف - قطر.

الإحساء:

هي عاصمة الإقليم ومقر المتصرف، واسمها الأصلي «الهفوف» تبعد عن البحر مسافة أثني عشرة ساعة، وحول المدينة برج وقلعة وسور محيط بها، عمرانها عبارة عن:

دار للحكومة - وثكنة عسكرية - ومدرسة رشدية - ومدرسة إبتدائية - و(٨٤) مسجداً - و(١٧) مدرسة، وعشرون مدرسة عادية (كتاتيب) - وثلاثة آلاف منزل - وسكانها تخميناً حوالي أربعين ألف شخص، وفيها

(١) يطلق العثمانيون على منطقة الإحساء وباديتها اسم نجد.

من الأسواق والدكاكين العدد الكافي، وينسب إلى هذه المدينة الشيخ أحمد زيد الدين الإحساني، وحول الإحساء وفي أطرافها ينابيع ماء كثيرة، وفيها نبع معدني يسمى «عين النجم» ويوجد فيها بساتين نخل بمقدار كاف، تنتج تمراً جيداً.

من نواحي الإحساء المديريات: العقير - المبرز - الجفر - العيون.

العقير: تقع إلى الشرق من الإحساء على ساحل البحر، وتبعد عن المدينة بمدة إثنتي عشرة ساعة، وهي ميناء الإحساء وليس فيها شيء يستحق الذكر.

المبرز - الجفر - العيون: يقع كل منها على بعد ساعة من المدينة، وليس فيها ما يستحق الكتابة.

القطيف:

هي قائمقامية، تقع على ساحل البحر على بعد أربعين ساعة من الإحساء (الهفوف)، فيها كثير من حدائق النخيل والفاكهة.

يعمل سكانها باللؤلؤ، وفي المدينة دار للحكومة - ومدرسة ابتدائية - وألف ومائتا منزل وبيت من القصب، وسكانها (٧-٨) آلاف شخص، **وأماكنها المعرفة هي:**

صفوى - العوامية - الكديح - البحارى - توبي - خويلدية - جويجب[1] - سويجة - الملاحة - حلة محيش - أم الحمام - الجش - سيهات - تاروت - الأجسام - الجارودية - وفي القطيف مياه معدنية وعيون كثيرة.

---

(١) يغلب على الظهر أنها «كويكب» لأن بعض العرب يلفظون الكاف مثل (ج) الفارسية، وهو أمر معروف منذ القديم في كشكشة تميم.

قطر:

تقع في الجهة الجنوبية الشرقية من الإحساء على شاطئ البحر، وتبعد حوالي ستين ساعة عنها، يوجد فيها فوج من الجند وقائمقام فخري من قبل الحكومة، وفيها حوالي (٢٠٠٠-٣٠٠٠) بيت صغير، وسكانها (٦٠٠٠ - ٧٠٠٠) شخص تقريباً، ليس فيها شيئ من الزروع أو البساتين أبداً وجميع سكانها بدو، وعملهم الغوص والبحث عن اللؤلؤ.

الآثار القديمة

يوجد في أطراف مدينة الإحساء آثار قديمة كثيرة، من ضمنها مكان في جنوبي المدينة يسمى (بيرق)، حيث يوجد آثار مباني كثيرة، يقال أنها خربت قبل خمسمائة سنة.

بني شافع:

تقع إلى الشرق من المدينة على بعد ساعة منها، وكانت في السابق عامرة زاهرة، وكانت فيها عين ماء ما زالت جارية إلى الآن، ويقال أنها خربت منذ ثلاثمائة سنة.

جواث:

هي مدينة خربة على بعد أربع ساعات من الإحساء (الهفوف)، ما زالت بعض آثار مباني قائمة حتى الآن، وفيها قبور بعض الصحابة، يقال أنها خربت في القرن الثاني الهجري.

مدينة القرمطي:

وقد مَرَّ ذكر القرامطة في تاريخ البصرة، وهي على بعد ساعة ونصف من الإحساء، وقد بقي من مبانيها مسجد واحد فقط.

القلعة الخربة:

إلى الشرق من الإحساء على بعد ساعتين تقع قلعة خربة، يرتفع سورها خمسة أذرع، وهو سور قوي جدًا ومبني بالحجر والجص كتب عليه تاريخ باللغة العبرية، يقال أن هذه القلعة خربت منذ ١٨٥٥ سنة، والله أعلم.

البوم:

تقع هذه المدينة شرقي الإحساء على بعد خمس ساعات منها، وهي من أبنية الفرس، وما يزال باقياً إلى الآن آثار ورسوم ومباني وقلعة وخندق حول المدينة، ويقال أنها قبل الهجرة بزمن طويل.

رقيمة:

هذه النقطة قرب الإحساء، آثار البيوت والدكاكين والعمران ظاهرة فيها، وفيها آثار كثيرة ماؤها عذب، تزرع أطرافها في الوقت الحاصر، ويقال أنها خربت منذ أكثر من ثلاثمائة سنة.

التلغراف

يوجد خطان تلغراف في مدينة البصرة، واحد في مقام محلة علي، وهو خاص بالمخابرات الداخلية، وواحد داخل المدينة يستطاع بوساطته الأبراق إلى أي مكان، ويوجد خط تلغرافي أيضاً من البصرة إلى أبي الخصيب، خاص بالمخابرات الداخلية أنشئ حديثاً.

ويوجد في الفاو الواقعة على بعد (١١٠) كم من البصرة على مصب شط العرب خطا تلغراف، واحد هو خط «كابل» الممتد تحت البحر وتابع للإنكليز، وخط ملك الحكومة العثمانية، وهذا الخط للمخابرة مع جميع

البلدان الأجنبية، ويخابر باللغات الأجنبية أيضاً عدا عن اللغات الشرقية، ويتصل بالخط التلغرافي المركزي في البصرة.

ويمتد خط تلغرافي من البصرة شمالاً حتى بلدة القرنة، حيث يتفرع إلى فرعين، يذهب فرع منهما إلى المنتفق فيمر من الحمار وسوق الشيوخ والناصرية، ومن هناك يدخل نطاق بغداد فيعبر من السماوة والديوانية والحلة، ثم ينتهي ببغداد، ويوجد لهذا الخط مأمور مخابرات أجنبية في الناصرية فقط.

الفرع الآخر يذهب من القرنة إلى شطرة العمارة، ومن هناك إلى العمارة وعلي الغربي وكوت الإمارة الذي هو من ملحقات بغداد.

ويتفرع في الكوت إلى فرعين أيضاً، يذهب فرع منهما إلى الحي والشطرة من أعمال المنتفق، ويلحق الفرع الآخر ببغداد، ولهذا الخط مأمور مخابرات باللغة الأجنبية في العمارة فقط.

البريد

يعمل البريد من البصرة إلى القرنة وشطرة العمارة، والعمارة، وكوت الإمارة، وبغداد، والمنتفق، فينقل الرسائل ويقبل النقود والأمانات، ولكن من البصرة إلى نجد لا يقبل البريد غير الرسائل أما النقود والأمانات فلا يقبلها، ويوجد مكتب بريد أيضاً في محلة المقام يقوم بجميع الأعمال البريدية.

وسائل نقل البريد

ينقل البريد من البصرة إلى بغداد والمدن الواقعة على شاطئ دجلة بسفن شركة لنج النهرية، أو العثمانية، وينقل البريد البحري بسفن «البريد» الإنكليزي، وبريد نجد على الجمال، وبريد المنتفق بالمشحوف (والمشحوف قارب صغير يصنع من ألواح رقيقه ويطلى ظهره بالقار).

عشائر المنتفق عامة

آل السعدون: وهم أسرة مشايخ المنتفق. عددهم (١٥٠) شخصاً تقريباً.

وشيوخهم: فالح باشا - مزيد باشا - مزعل باشا - أبناء ناصر باشا - وسعدون باشا - وسعدون باشا بن منصور.

بنو سعيد: عددهم (٢٠٠٠) شخص، ورئيسهم سكر آل عيسى.

بنو مالك[١]: عددهم (٢٥٠٠٠) شخص، ورئيسهم شلاش آل حمره.

آل أجود: عددهم (٣٥٠٠) شخص، ورئيسهم يسمى محسن.

العشائر التابعة للمنتفق

أهل الشرش[٢]: عددهم (١٠٠٠)، يعيشون على شاطئ نهر الفرات، رئيساهم يسميان جويد وشلال.

---

(١) يقطنون سوق الشيوخ وفي البصرة والقرنه ناحية البو صالح والديوانية والحلة والحويزة، العزاوي، العشائر،ج٤، ص ٣٠.

(٢) الشرش ناحية تتبع السويب، وأهلها يدعون أنه من ربيعة.
العزاوي، العشائر، ج٤، ص ٦٧.

بنو منصور[1]: عددهم (١٥٠٠)، يسكنون الشاطئ الغربي لنهر الفرات في جوار أهل الشرش، رؤساؤهم: لعيب، وآل سعد، ومحيسن.

الصيامر[2]: عددهم (١٠٠٠) شخص، يقيمون في المدينة، ورئيسهم حمود.

بنو صالح: عددهم (٢٥٠) شخصاً، يسكنون غربي المدينة، وهم تابعون لعشيرة الصيامر، ويرئسهم: سيد شبيب وسيد عبد المطلب.

بنو أسد[3]: عددهم (١٠٠٠) شخص، يقيمون في الجبايش، ورئيسهم: سالم بن حسن خيون.

آل غريب: عددهم (٦٠٠) شخص، يسكنون في الجبايش، ورئيساهم: ياسر وخالد.

بنو حطيط[4]: عددهم (٥٠٠) شخص، يسكنون في الحمّار، ورئيسهم طاهر آل فرج الله.

بنو مشرف[5]: عددهم (٤٠٠) شخص، يقيمون في خيط، ورؤساؤهم: ضهد، وعويد، وفرج.

---

(١) من العشائر الملحقة ببني مالك وموطنهم أنحاء القرنه على الضفه اليمنى من الفرات. العزاوي، العشائر، ج٤، ص ٦٦.

(٢) من عشائر المدينة التابعة لقضاء القرنه وهي عشيرة كبيرة وتعد ملحقه ببني مالك، العزاوي، العشائر، ج٤، ص ٦٢.

(٣) يعدون أكبر العشائر في العراق وهم من العدنانية ومنهم (مزيد بن صدفه مؤسس مدينة الحله) وهي تسكن في أراضي الجبايش (البطائح) وسوق الشيوخ بين بني مالك وبني خيكان وألبو محمد.
العزاوي، العشائر، ج٤، ص ص ٤٣-٤٤.

(٤) يتواجدون في الجبايش وأراضيهم التي تعرف باسمهم تروى بواسطة نهر أبي سدره. العزاوي، العشائر، ج٤، ص ٤١.

(٥) يقطنون الحمار وهم فرع من بني أسد.
العزاوي، العشائر، ج٤، ص ص ٣٦، ٤٢، ٥٠.

عبادة[1]: عددهم (٣٥٠) شخصاً، يقيمون في خيط، ويرأسهم الحاج طوفان والحاد عصاد.

عشائر بني خيكان

آل أبي شامة: عددهم (٣٠٠)، ورئيسهم يسمى كزار.

آل أبي عايش: عددهم (١٥٠) شخصاً، رئيسهم يسمى شطيب.

العمايرة: عددهم (٤٠٠) شخص، رئيسهم يسمى شفي.

آل حول: عددهم (٤٠٠) شخص، ورئيسهم عيسى.

الفهود[2]: عددهم (٢٠٠) شخص، ورئيسهم الحاج جابر.

آل اسماعيب[3]: عددهم (٣٠٠) شخص، رئيسهم يسمى مبارك.

بنو خيكان[4]: عددهم (٢٠٠٠) شخص، يسكنون على شاطئ شط الحمار، ورئيسهم ناصر.

بنو سعيد[5]: عددهم (٤٠٠) شخص، ورئيسهم الحاج محمد.

---

(١) من العشائر القديمة التي كانت تسكن أنحاء المنتفق ثم انتشرت في أنحاء العراق. العزاوي، العشائر، ج٤، ص ٥٢.

(٢) يقطنون الحمار إلى جوار عشائر البو شامه بني حطيط والعمايرة ويعدون من بني مالك.
العزاوي، العشائر، ج٤، ص ٤٢.

(٣) يتواجدون في كرمة بني سعيد ومنهم آل حرب.
العزاوي، عشائر العراق، ج٤، ص ٤٠.

(٤) ويسمون أيضاً بني خيقان أو بنو خاقان، يسكنون ناحية عكيلكه وكرمة بني سعيد والجبايش، العزاوي، عشائر العراق، ج٤، ص ٥٨.

(٥) من العشائر الكبيرة والمهمة في المنتفق ومنهم قسم كبير في العمارة ومنهم من كان يقطن الغموكه والداوية في بزايز الغراف.
العزاوي، عشائر العراق، ج٤، ص ص ٦٩-٧٠.

عاجرة: عددهم (١٠٠٠) شخص، ورئيسهم حطاب.

ويقال لمجموع هذه العشائر «بني خيكان».

العشائر الساكنة في المجرة، والمقيمة على شاطئ نهر الفرات

آل حسن[(١)]: عددهم (١٠٠٠) شخص، ورئيسهم مزعل.

آل حجام: عددهم (١٠٠٠) شخص، ورئيسهم ضهد.

النواشي[(٢)]: عددهم (٢٠٠) شخص، وشيخهم يسمى حسن.

العليات: عددهم (٩٠٠) شخص، وشيخهم الحاج خلف.

المطيرات: عددهم (١٥٠) شخص، وشيخهم يسمى خالد.

العشائر التي تقيم حول القرنة

أهل المزيرعة[(٣)]: عددهم (٣٠٠) شخص، ورئيسهم كارح آل سعد، ويسكنون في الجهة الشرقية من القرنة.

آل سعد أهل بير حميد: عددهم (٣٠٠) شخص، يسمى رئيسهم كباشي، ويسكنون غربي القرنة.

الحلاف: عددهم (٤٠٠) شخص، رئيسهم الحاج حسين بن ميرطة.

---

(١) وهم من عشائر بني مالك، العزاوي، عشائر العراق، ج٤، ص ٣٥.

(٢) يسكنون المجره وتعد عشيرة مستقلة.
العزاوي، العشائر، ج٤، ص ٥٩.

(٣) يقطنون أنحاء القرنه ويدعون أنهم من عشائر ربيعة، العزاوي، العشائر، ج٤، ص٦٩.

آل عباس: عددهم (١٥٠) شخص، شيخهم جابر آل هليل، ويقيمون في حزقية.

المواجد[١]: عددهم (١٠٠) شخص، شيخهم مروح بن نزال، ويقيمون في المشراح.

عشائر سوق الشيوخ وملحقاتها

آل رحمة: عددهم (١٠٠) شخص.

دياح: عددهم (٧٠) شخصاً.

آل كريم: عددهم (٥٠) شخصاً.

كريم: عددهم (٧٠) شخصاً.

كمش الصباح: عددهم (٦٠) شخصاً.

آبورد: عددهم (٥٠) شخصاً.

أبو خليفة: عددهم (٤٠) شخصاً.

حسين الكروش: عددهم (٣٠) شخصاً.

عمام العلي: عددهم (٤٠) شخصاً.

آل عيسى وآل بزون: عددهم (٣٠٠) شخص.

الجمعيان[٢]: عددهم (٧٠٠) شخص.

الحوير: عددهم (٧٠) شخصاً.

العير: عددهم (١٠٠) شخص.

---

(١) ومنهم بيت شبيب في النجف. العزاوي، العشائر، ج٤، ص ٤٩.

(٢) هناك من يقول بأنهم من بني مالك ومن يقول أنهم من بني خيكان، وهم يسكنون ناحية العكيكه وفروعهم الماجد والعبيد واللشديد والمجامله.

المياح[1]: عددهم (١٢٠) شخصاً.

آل فرج: عددهم (٧٠) شخصاً.

قراغول: عددهم (٥٠) شخصاً.

سيد عبود: عددهم (٥٠) شخصاً.

ويوجد في سوق الشيوخ وأطرافها غير هذه العشائر المختلفة حوالي (٤٠٠٠-٥٠٠٠) شخص.

قبائل شطرة المنتفق

بنو ركاب: عددهم (٣٠٠٠) شخص.

عبوده: عددهم (٣٠٠٠) شخص.

بنو ركاب الخضر: عددهم (١٠٠) شخص.

هلالية: عددهم (١٠٠) شخص.

ألبو سعد - ألبو حليلة: هم عشيرتان وعددهم (١٥٠) شخصاً.

ألبو سعد السواعد: عددهم (٥٠) شخصاً.

شراهنة: عددهم (٧٠) شخصاً.

دبات: عددهم (١٠٠) شخص.

خفاجة العلاوي: عددهم (٨٠٠) شخص.

بنو زيد آل جدية: عددهم (٥٠٠) شخص.

طوينات: عددهم (١٠٠) شخص.

بنو سعيد الخشم: عددهم خمسون شخصاً.

---

(١) وهم من ربيعة يسكنون في جانبي الغراف، ويسكن عدد كبير منهم في القرنه أيضاً. العزاوي، العشائر، ج٤، ص ص ص ٦٨، ١٦٦، ١٦٧.

العوف: عددهم (٤٠٠) شخص.

الحملي: عددهم (١٥٠) شخصاً.

قراغول: عددهم (١٠٠) شخص.

عبودة البطوش: عددهم (١٠٠) شخص.

آل حميد: عددهم (٦٠) شخصاً.

حرلية: عددهم (٧٠) شخصاً.

أولاد زيد: عددهم (٤٠) شخصاً.

الحفاظ الجوابر: عددهم (٧٠) شخصاً.

المعن: عددهم (٤٠) شخصاً.

وتوجد عشائر متفرقة غير هذه، يقدر عددها بحوالي (٢٠٠٠-٣٠٠٠) شخص.

عشائر الناصرية ونواحيها

دبيسات: عددهم (١٥٠) شخصاً.

عرب المنافع: عددهم (٢٥٠) شخصاً.

الرفيعات: عددهم (٥٠) شخصاً.

شياع الفرعون: عددهم (٦٠) شخصاً.

زهيرية: عددهم (٤٠٠) شخص.

العتامنة: عددهم (٧٠) شخصاً.

العصون: عددهم (١٠٠) شخص.

عتيبة: عددهم (٢٠٠) شخص.

الجوارين: عددهم (٤٠٠) شخص.

البدور: عددهم (٣٠٠٠) شخص، وشيخهم صحن بن شحم.

الصبحة: عددهم (١٠٠) شخص.

العرجة: عددهم (٣٠٠) شخص.

آل إبراهيم: عددهم (٢٥٠) شخص.

حسينات: عددهم (١٥٠) شخص.

فراعنة: عددهم (٥٠) شخصاً.

رعيلة: عددهم (٧٠) شخصاً.

الخشيم: عددهم (٦٠) شخصاً.

ويوجد عشائر أخرى متفرقة عددها ألف شخص تقريباً.

عشائر الحي ونواحيها

عتاب: عددهم (١٠٠) شخص.

مناصرة الخضر: عددهم (١٠٠) شخص.

شاتي: عددهم (١٠٠) شخص.

شويلات: عددهم (٢٠٠) شخص.

طوقية: عددهم (٣٠٠) شخص.

المريان: عددهم (٦٠) شخصا.

المراشدة: عددهم (١٠٠) شخص.

مطرود الحسين: عددهم (٥٠) شخصاً.

قراغول: عددهم (١٥٠) شخصاً.

ألبو طويل: عددهم (١٠٠) شخص.

سلطان اليوسف: عددهم (١٠٠) شخص.

ويوجد عشائر متفرقة عددها (٣٠٠٠) شخص تقريباً.

عشائر العمارة

يقيم في أراضي العمارة وقراها عشيرتان كبيرتان:

الأولى بنو لام، والأخرى **ألبو محمد**، يسكن بنو لام شمالي العمارة وعلى جانبي نهر دجلة، وحدود أراضيهم من «أم الحنة» وهي من ثغور (ضواحي) بغداد حتى البتيرة (١) وهؤلاء ينتسبون إلى ربيعة، وتحت أيديهم مساحات واسعة من الأرض، وكل مزارعهم سهلية، يزرعون الحبوب:

القمح والشعير والذرة، ولديهم كثير من المواشي: الأبقار - الأغنام - والجمال - والخيل، وهم ماهرون بركوب الخيل، وقد هاجر كثير منهم إلى عربستان واستوطنوا هناك منذ سنين.

مقاطعات بني لام المعروفة

الجزيرة: وهي خمسة عشر جزءًا، تقع على شاطئ دجلة الشرقي، استئجارها من الحكومة بثمانية ألف ليرة سنويًّا.

أراضي علي الشرقي: هي سبعة عشر جزءًا، وتقع على شاطئ دجلة الشرقي أيضاً.

منطقة علي الغربي: هي ستة عشر جزءًا، وتقع على شاطئ دجلة الغربي، واستئجارها من الحكومة بألفي ليرة سنويًّا.

طويريج: تقع على شاطئ دجلة الغربي أيضاً.

أراضي آل أبي دراج: تقع في الناحية الغربية من دجلة.

الشامية - الشومية: هاتان منطقتان على الشاطئ الغربي من دجلة أيضاً.

فروع بني لام

بيت مذكور: جميع شيوخ بني لام من هذه الأسرة، وعددهم (٢٠٠) شخص تقريباً، وشيخهم الحالي غضبان بن بنيه بن مزبان بن مذكور بن جنديل، وهو رئيس عشائر بني لام.

والشيخ الآخر لهذه العشيرة هو فهد بن غضبان.

حيـاى: وعددهم (٣٠٠) شخص.

دلفي: وعددهم (٧٠٠) شخص.

رويشد: وعددهم (٨٠٠) شخص.

خميس: وعددهم (٣٠٠) شخص.

بيت جنديل: وعددهم (٢٠٠) شخص.

الرحمة: وعددهم (٢٠٠) شخص.

الطعان: وعددهم (٢٠٠) شخص

بنو عقبة: وعددهم (٤٠٠٠) شخص.

جنانـه: وعددهم (٢٠٠٠) شخص.

كعـب: وعددهم (٣٠٠٠) شخص.

ويكون أتباع بني لام حوالي (٥٠٠٠-٦٠٠٠) شخص، ما عدا هذه العشائر المذكور.

عشيرة ألبو محمد

يقال أن سبب تسمية هذه العشيرة بأبي محمد هو أن جدهم الأعلى كان يسمى محمد، **وكان له أربعة أولاد**: لويلو - وغضب - وشداد وفرج، فالعشيرة التي تكونت من أسرة لويلو سميت «بيت لويلو» والجماعة التي تكونت من أسرة غضب سميت «بيت غضب» - والقبيلة التي تكونت من

أسرة شداد سميت «شده» وسميت الجماعة التي من نسل فرج «الفريجات».

كانت عشيرة ألبو محمد في السابق تابعة لبني لام، ولكن قوتهم الآن[1]، ليست أقل من قوة بني لام، وهم دائماً مع تلك العشيرة في حرب وقتال، شيوخ ألبو محمد أغنياء جدًّا وأصحاب ثروات، إحدى عادات عشيرة ألبو محمد المستهجنة أنهم (يخطفون) نساء بعضهم.

وقد سمع عن وقع هذا النوع من الحوادث بين هذه العشيرة مراراً.

وعلى الإجمال، فإن الشاطئين الغربي والشرقي لدجلة، من «البتيرة» حتى القرنة تقريباً في أيدي عشيرة ألبو محمد، وتنتشر جماعات في هذه الرقعة المباركة الفسيحة، فجميع مزارعها مشبعة بالماء، وأكثر زراعتهم الأرز، ويزرعون أيضاً القمح، والشعير، والذرة، والعدس، ولديهم كثير من الحيوانات كالأغنام والجاموس، والفرسان عندهم قليلون جدًّا.

المقاطعات المشهورة تحت حكم ألبو محمد

الكحلاء: تقع في الجانب الشرقي من العمارة، ويجري فيها فرع كبير من نهر دجلة، وهي مكونة من عدة مقاطعات صغيرة وكبيرة اسماؤها جرايه - شرموخ - أم الطوس - طمامه - خرك - حامي - حسيجي - عدل - زبير، وجميع هذه الأملاك خاصة سنية[2]، وإيجارها السنوي (٣٠,٠٠٠) ليرة.

الشطره: تقع في الجانب الشرقي من العمارة، وتتكون من عدة

(١) الآن: أي في زمن المؤلف سنة ١٣٢٣هـ، ١٩٠٥-١٩٠٦.

(٢) هي ملك السلطان العثماني، وتسمى خاصة سنية، يقول المؤلف: والمقصود بالنسبة ملك خاص لجلالة السلطان العثماني.

أجزاء، أسماؤها، بطاط - مريبي - المجريه، وهذه أيضاً أملاك سنية إيجارها السنوي (١٢,٠٠٠) ليرة.

المجر الكبير: تقع في الطرف الغربي من العمارة، وتتكون من عدة قطع، أسماؤها: أم الأرانب - المجر الصغير - حشريه - بيجعات - أم الحنظة - الوادية، وهي أملاك سلطانية أيضاً بدل إيجارها السنوي (٣٠,٠٠٠) ليرة.

وكذلك: الحفيرة - وكسرة - وشطيره - ثلاث مقاطعات أملاك سلطانية وأجرتها السنوية (٨,٠٠٠) ليرة.

قبائل وفروع ألبو محمد

أسرة لويلو: جميع مشايخ ألبو محمد من هذه الأسرة، وعددها حوالي (٦٠٠) شخص.

بيت غضب: عددهم (٥٠٠) شخص، ورئيسهم صحن.

شدة: عددهم (٢٠٠٠) شخص، وشيخهم يدعى جويلي.

فريجات: عددهم (١٠٠٠) شخص.

نوافل: وعددهم (٥٠٠) شخص.

عشائر تابعة لألبو محمد

فرطوسي[1]: وعددهم (١٠٠٠) شخص، وشيخهم يدعى جويلي.

بيضان: وعددهم (٢٠٠٠) شخص، يرأسهم: كزار، وكماز.

آل أبو جويبر: وعددهم (١٠٠٠) شخص.

آل أبو زيت: وعددهم (٥٠٠) شخص.

(١) عشيرة كبيرة مالت إلى بني اسد. العزاوي، العشائر، ج٤، ص ٥١.

آل ابو سليمه: وعددهم (٨٠٠) شخص.

بيت نوره: وهذه العشيرة مكونة من ثلاثة أفرع هي:

آل أبو نجم - آل أبو صافي - وآل أبو عبيد: وعددهم (٩٠٠) شخص.

بيت الشيخ حمود: وعددهم (٦٠٠) شخص، شيوخهم محمد، وحمدان.

آل أبو صالح: وعددهم (٢٥٠) شخصاً، رئيسهم يدعى عبدالله المحسن.

آل أبو علي: وعددهم (٣٠٠) شخص.

آل أبو عبود: وعددهم (٢٥٠) شخص.

آل ابو دراج: وعددهم (٢٠٠٠) شخص، وهذه العشيرة تتبع أحياناً ألبو محمد، وأحياناً تتبع بني لام.

آل زيرج: وعددهم (٣٠٠٠) شخص، وهؤلاء أيضاً يظهرون الطاعة حيناً لألبو محمد، وحيناً لبني لام.

سودان: وعددهم (٢٠٠٠) شخص، شيوخهم محمد وحسن، وهذه العشيرة تكون أحياناً تحت نفوذ ألبو محمد، وأحياناً مع بني لام.

شيوخ ألبو محمد المشهورون

عصمان وزيون: ابنا أحد أبناء عمومة صيهود وهما معاديان له، ومحل إهتمام الحكومة، يقيمان في الشط.

عريبي وخليفة: ابنا وادي صيهود، وهما ضده أيضاً، ويسكنان في الكحلاء.

رئيس جميع ألبو محمد هو صيهود بن منشد، وجميع الشيوخ يطيعونه، ومن أبنائه المشهورين: فالح - وحاتم - وعبد الكريم - ولهم الرئاسة في ألبو محمد

عشائر الاحساء

عمران: عددهم (٥٠٠٠) شخص، ويسمى شيخهم محمد الأحمد.

الكاره: عددهم (١٠٠٠) شخص، ورئيسهم سيد سلمان بن سيد صالح.

التوبير: عددهم (٧٠٠) شخص، ورئيسهم يدعى سيد عبد المحسن.

الجبيل: عددهم (٦٠٠) شخص، ورئيسهم يدعى سيد إبراهيم بن سيد حسن.

بنو معن: عددهم (٣٠٠) شخص، ورئيسهم يسمى على الحجي.

الحليلة: عددهم (٢٠٠) شخص، وشيخهم يسمى خميس.

البطالية: عددهم (٢٥٠) شخصاً، ورئيسهم يسمى ناصر المسبح.

المزيدي: عددهم (١٢٠) شخصاً، شيخهم حسين المزيدي.

أهل المركز: عددهم (٢٠٠) شخص، شيخهم حسين العلي.

المنيزلة: عددهم (١٥٠) شخصاً، ورئيسهم علي بن عبدالله.

الفضول: عددهم (٤٠٠) شخص، ولا يعرف شيخهم.

الكثرين: عددهم (٢٠٠) شخص، وشيخهم صالح العلي.

الشعبة: عددهم (٣٠٠) شخص، وشيخهم مجهول الاسم.

الفوارس: عددهم (١٠٠٠) شخص، شيخهم حسن المير.

المطيرفي: عددهم (٤٠٠) شخص، وشيخهم مجهول الاسم.

اهل الكوت: (٤٠٠٠) شخص، وهما فرعان.

فرع برئاسة محمد الجعفري والآخر برئاسة عبد الوهاب صبيعي.

أهل الجفر: عددهم (٨٠٠) شخص، رئيسهم سعد بن عبد الرحمن.

نعائل: عددهم (٣٠٠٠) شخص، وهي خليط أحمد آل إبراهيم، وعلى بن ناصر.

المبرز: عددهم (٣٠٠٠) شخص. رئيسهم عبدالله باشا السعدون، الشيخ محمد بن الشيخ حسين الخليفة.

آل الطرف: عددهم (٥٠٠) شخص، وشيخهم أحمد الصالح الجبيل.

البو حسين: عددهم (٥٠٠) شخص، وشيخهم يدعى عبد الحميد.

الجشة: عددهم (٤٠٠) شخص وشيخهم يسمى عبد العزيز آل بداح.

الجلابية: عددهم (١٥٠) شخصاً، ويدعى شيخهم سعد الجمعة.

الرفعة: عددهم (٤٠٠) شخص، ويدعى شيخهم عبد اللطيف الحمل.

الرجيجة: عددهم (٦٠٠) شخص، ويدعى شيخهم عبد العزيز المنيخر.

العيون: عددهم (٤٠٠) شخص، ويقال لشيخها ابن سعود.

عشائر بصرية متفرقة

عيدان: عدد هذه العشيرة ما بين (٣٠٠-٤٠٠) شخص تقريباً، وهم متفرقون في قرى البصرة.

معلمان: يسكنون في أبي الخصيب، رئاستهم في أسرة ياسين، وعددهم (٢٠٠) شخص.

حوار: يسكنون في أبي الخصيب أيضاً، رئاستهم في أسرة محمد بكر، وعددهم حوالي (١٠٠) شخص.

قبائل بدوية معروفة منتشرة
في الجهات الغربية من صحراء البصرة

آل ظفير: عددهم (٤٠٠٠) شخص، ويقال لشيخهم ابن نايف الصويط.

قراغول: عددهم (٥٠٠) شخص، وشيخهم يعرف بآل كنعان.

عجمان: عددهم (٥٠٠٠) شخص، ويعرف شيخهم بإبن راكان.

المطير: عددهم (٥٠٠٠) شخص، ويسمى شيخهم الدويش.

آل مرة: عددهم (١٠٠٠) شخص، وشيخهم غير معروف.

الصقور: عددهم (٥٠٠) شخص.

الشريفات: عددهم (٥٠٠) شخص، ويدعى شيخهم حسن.

الشياني: عددهم (٤٠٠) شخص، وشيخهم غير معروف.

مهاشير: عددهم (١,٥٠٠) شخص.

مناصير: عددهم (١٠٠٠) شخص.

هواجر: عددهم (٧٠٠) شخص.

عماير: عددهم (٨٠٠) شخص.

صبيح: عددهم (٥٠٠) شخص.

بنو خالد: عددهم (٢٠٠٠) شخص.

وهذه العشائر كلها تسكن الخيام.

وأعداد نفوس العشائر التي ذكرت، كلها من قبيل التخمين ومهما دقق في تحقيق أعدادهم، يبقى احتمال تقليل أعداد بعضهم أو زيادة أعداد بعضهم قويًا. فإذا لوحظ إفراط في تخمين أعداد نفوس هذه العشائر فالمؤلف معذور. لأنه لم يجر الى الآن تسجيل نفوس العشائر، وتعيين الرقم الحقيقي صعب جدًا.

الفصل الرابع

الإحصاء

إحصاء ولاية البصرة في سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠١، وهو آخر إحصاء تجريه الحكومة المحلية، إذ لم يعلن عن أحصاء لولاية البصرة من قبل الحكومة بعد هذا التاريخ.

واردات سنة ١٣١٨		مصاريف سنة ٣١٨	
قروش[1]	نوع الضرائب	قروش	نوع المصروفات
٤٣٨,٨٨١	ضرائب العشائر (ويركو)	٢,٧٠١,٥٤٩	مصروفات حكومية
٤٨,٠٠٨	بدلات عكسرية	١٠,٨٧٦,٣٠٨	حوالات ومصروفات عسكرية
١,٦١٥,٧٠٠	ضرائب على الأغنام	٨٨٤,٠٩٧	حوالات ومصروفات بحرية
١٨٥,٠٠٠	ضرائب على الجاموس	٤,٢١٩,٩٨٠	مصروفات جندرمة
١١٥,٣٩٠	ضرائب على الجمال	٥٢,١٧٢	مصروفات للشرطة
١٠,٩٦٤,٢٦١	ضرائب أملاك مقطوعة	٦,٦٠٠	مصروفات صحية

(١) كل مائة قرش كاملة تعادل ليرة عثمانية واحدة. (المؤلف).

٤,٩٣٧,٠٦٦	ضرائب أملاك غير مقطوعة		
١١٦,٦٤٠	رسوم الأملاك والطابو	١٠٠,٧٦٠	وصولات متفرقة
١٢٦,٧٢٦	رسوم محاكم		
١,٨١٩,٦٠٩	رسوم متفرقة	١,٦٠٠,٠٠٠	حوالات حجازية
٧٤,١٨٥	حاصلات متفرقة		
٢٠,٤٤١,٤٦٦	**المجموع**	٢٠,٤٤١,٤٦٦	**المجموع**

حركة السفن:

السفن التي دخلت ميناء البصرة في سنة ١٩٠٣ ميلادية المطابقة لسنة ١٣٢٠هـ خلال سنة واحدة، حسب التقرير الرسمي للمستر (مناهن)، القنصل الإنكليزي السابق في البصرة.

عدد السفن	نوع السفينة	حمولتها بالطن
٤٨	سفن شراعية إنكليزية	٤,٥١٥
١٣٨	سفن بخارية إنكليزية	١٦٢,٩٦٤
٢٧١	سفن شراعية عربية وعثمانية	٨,٠٠٩
٢٣٦	سفن هوائية إيرانية	٨,٨٢٥
٩	سفن هوائية فرنسية	٩٦١
٥	سفن بخارية روسية	٥,٧١٣
١	سفينة بخارية نمساوية	١,٦٣٢
٢٤	سفن شراعية زنجبارية	٢,٨٩١
٧٣١	**المجموع**	

الصادرات والواردات:

أمتعة وبضائع تجارية صدّرت من ميناء البصرة في سنتي ١٩٠٢ و١٩٠٣ حسب التقرير الرسمي للمستر (مناهن) القنصل الإنكليزي السابق بالبصرة[١]

صادرات سنة ١٩٠٢م المطابقة لسنة ١٣١٩هـ		صادرات سنة ١٩٠٣م المطابقة لسنة ١٣٢٠هـ		
ليرة إنكليزية	المقدار	ليرة إنكلزية	المقدار	
٧٩,٧	٣١٩,١٤٦	٢٥٥,٧٣٨	١,٠٢٢,٩٥١	شعير
٤٣,٣٤٠	٢,١٦٧	٤٧,٨٠٠	٢,٣٩٠	سجاد بالقطعة (فردة)
٢,٣٤٤	٧,٨١٤	٥,٥٨٤	١٨,٦١٢	تمر أصفر جاف كيس
١٩٣,٠٥١	٩٦٥,٢٥٦	٢٥٩,٦٤٢	١,٢٩٨,٢١٠	تمر. صندوق
٩٢,٨٠٧	٤٦٤,٠٣٣	٩٠,٧٩٧	٤٥٣,٩٨٨	تمر. غلاف
١,٠١٣	٥,٠٦٦	٣,٢٠٥	١٤,٢٤٥	تمر مجفف. كيس
١,٧٢١	٣,٤٤٢	٣,٥٠٧	٧,٠١٤	فضلة. كيس
٤٨,٢٧٠	٩,٦٥٤	٥٧,٤٥٥	١١,٤٩١	صمغ البلوط. كيس
٤,٦٣٨	٤,٢١٦	١٤,٩٦٩	١٢,٨٧٤	دهن. صندوق. صفيحة.
٢٤,٣٩٢	٦,٠٩٨	٢٦,١٤٨	٦,٥٣٧	صندوق
٩,١٨٤	١,١٤٨	١٠,٠٠٠	١,٢٥٠	شعر الماعز. فرده
٤٧,٦٠٥	٩,٥٢١	٤٧,٧٨٥	٩,٥٥٧	جلد بقر وغنم. فرده
٥,٦٧٠	٩٤٥	٤٦,١٤٠	٣,٨٤٥	حصان. رأس
٢٦,٤٦١	٢٦,٤٦١	١٥,٤٥٦	١٥,٤٥٦	عرق السوس. ربطه
٩٦,٠٠٠	٩٦٠	١٠٥,٨٠٠	١,٠٥٨	تبغ. صندوق

(١) أنظر أيضاً: أنظر نص هذه الوثيقة في الملحق رقم (٢٩).

٤,٩٨٤	١٦,٦١٤	٢٤,٥١٥	٨١,٧١٥	أرز. كيس
٦١,٣٨٠	٢٧٢,٨٠٠	٨١,٢٧٨	٣٦١,٢٧٩	ذرة
١,٤٥٨	٢,٤٣٠	١,٧٦٥	٢,٩٤١	سمسم. كيس
٤,٩٦٠	١٢٤	٥,٠٤٠	١٣٩	حرير. فرده
٨,٢٩٩	٣١,٦١٧	٢٩,٧٧٥	١١٩,٠٩٩	قمح
١٧٣,٩٣٤	٢٨,٩٨٩	١٣٨,٢٨٨	٢٣,٠٤٨	صوف. فرده
٢٦,٤٠٦	٦,٦٠١	٢٦,٠٨٥	٦,٥١٩	أشياء متفرقة. ربطه
٩٥٧,٧٠٣		١,٢٩٦,٧٧٢		المجموع

وقد زادت صادرات ١٩٠٣ عن صادرات ١٩٠٢ بمقدار (٣٣٩,٠٦٩) ليرة إنكليزية.

البضائع التجارية التي وردت إلى ميناء البصرة سنتي ١٩٠٢ و١٩٠٣، حسب التقرير الرسمي للمستر (مناهن) القنصل الإنكليزي السابق في البصرة.

واردات سنة ١٩٠٢م المطابقة لسنة ١٣١٩هـ		واردات سنة ١٩٠٣م المطابقة لسنة ١٣٢٠هـ		
ليرة إنكليزية	المقدار	ليرة إنكليزية	المقدار	
١٠٢٠٦	١٠٨٩٦	٦٢٤٣	١٢,٤٨٦	شمع. صندوق
٥٥٥٢	٢٧٧٥٩	٥٧٣٩	٢٨,٦٨١	فحم كراتشي. ربطه
٩٣٣٣	٣١١١	١١٧٧٨	٣,٩٢٦	زجاج صيني وأوعية. صندوق
٤٨,٦٠٠	١٩,٢٦٤	٤٩٠,٣٥٠	١٩,٦١٤	منسوجات قطنية. قطعة
٧,٤٠٠	١٨٥	٧,٤٨٠	١٨٧	منسوجات حريرية. ربطه

منسوجات صوفية. قطعة	٨٦٣	٢٥,٨٩٠	٧٠٣	٢١,٠٩٠
فحم حجري للسفن. طن	١١,٠٩٩	١٦,٦٤٨	٩,٧٧٧	١٩,٥٥٤
بن (قهوة). كيس	١٥,٣٠٩	٤٥,٩٢٧	١٠,٦١٢	٤٢,٤٤٨
نحاس. ربطه	٦,٨١٧	٢٧,٢٦٨	٥,٤٤١	٢١,٧٦٤
أواني صينية. صندوق	٨٧٦	١,٧٥٢	٨٤٦	١,٦٩٢
حجر طاحون. عدد	٩,٠٣١	٦٧٨	٨,٣٧٢	٨٣٧
أكياس كونية وقطعة	٨,٣٠٨	٤٩,٨٦٠	٧,٢٣٦	٤٣,٤١٦
نيله - صندوق	٨٠٨	٢٠,٢٠٠	٨٠٢	٢٠,٠٥٠
حديد وفولاذ وأمثالها. صندوق	٥٧,٣٨٧	٢٨,٦٩٤	٤٣,٣٩٩	٢١,٦٩٩
مشروبات. صندوق	٦٦٩	٣,٣٤٥	٥٠٧	٢,٥٣٥
نفط. صندوق	٦٣,٩٩٠	١٥,٩٩٩	٥٢,٤٧٠	١١,٧٩٥
صفيح ورصاص وأمثاله	-	١,٨٣٣	-	١,٥١٣
آلات. قطعة	٢,٦٨٩	١٢,١٠٠	١,٦٤٩	٩,٢٩٨
كبريت. صندوق	٥,٢٢٢	١٥,٦٦٦	٤,٣٠١	١٢,٩٠٣
طلاء أصباغ ودهون علبة	٤,٠٦٩	٢,٠٣٥	٣,٩٤٦	١,٨٠٢
أطعمة. علبة	١٧,٦٧٩	٥٣,٠٣٧	١٢,٢٤٠	٣٦,٧٢٠
أرز. وخيوط	٢٠,٤٧١	١٥,٣٥٣	٤٤,٠٦٢	٣٣,٠٤٦
صابون. صندوق	٥,٤٣٢	١٠,٨٦٤	٣,١٥٢	٤,٧٠٤
أمانة نقدية وغيره. ربطه	١٤,٩٠٨	٢٩,٨١٦	١٦,٤٦٠	٣٢,٩٢٠
ورق دفتر وأمثاله. صندوق	٢,٧٢٠	٢٧,٨٦٠	٢,٩٨٠	٢٩,٨٠٠

سكر قوالب. صندوق	٦٥,٦٦٥	٩١,٩٣١	٦٠,٤٦٩	٨٤,٦٥٧
سكر. كيس	٣٨,١٩٩	٤٥,٨٣٨	٣٤,٥٨٦	٤١,٥٠٣
شاي. صندوق	١٢,٩٢٤	١٦,١٥٥	١٣,٣٧٦	١٦,٧٢٠
تبغ. كيس	٤,٦٠٧	٢٣,٠٣٥	٣,٧٠١	١٨,٥٠٥
قمح. كيس	٣,٧٩٩	١,٨٩٩	٥,٧٩٦	٢,٨٩٨
زجاج نافذة. صندوق	٥,٤٠٣	٥,٤٠٣	٤,٩٠١	٤,٩٠١
مسكرات وكحول. صندوق	٨,٢٢١	٨,٢٢١	٧,٨٠٢	٧,٨٠٢
لوح لصناديق التمر. ربطه	٢٠٣,٧٨٦	٥٠,٩٤٦	١٨٣,٠٠٢	٤٥,٧٥٠
لوح، ولوح مدارس. عدد	٣١,٨١٣	٤,٧٧١	٣٢٨,٠٠٩	٤٩,٢٠١
لوح للسفن. عدد	٤٥,٠٠٠	٢,٢٥٠	٢٨,٧٠٧	١,٤٣٥
حبل. ربطه	٣,٨٢٠	٣٨,٢٠٠	٣,٦٩٤	٣٦,٩٤٠
أشياء متفرقة. قطعة.	١١,٤١١	٢٨,٥٢٧	٢٨,٣٥١	٧٠,٩٢٧
المجموع		**١,٢٥٥,٤٢٣**		**١,٢٧٦,٠٧٧**

فهرس المحتويات

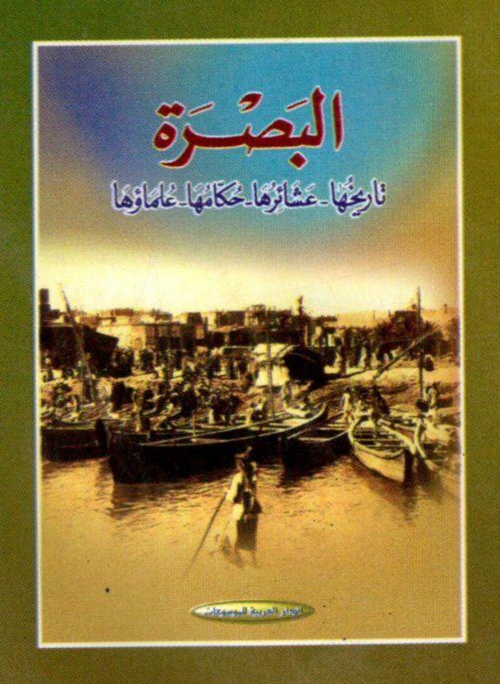
تقديم ٥
المقدمة ٩
الفصل الأول: البصرة ١١
إزدهار البصرة ١٩
الأبلة ٢٣
جنات العالم الأربع ٢٣
ثورة الزنج ٢٥
الفصل الثاني: البصرة وأحوال رجالها ٣٧
المقابر والمشاهد ٤١
علماء وأدباء وفضلاء البصرة المشهورين من أصحاب السمعة والمآثر الجليلة ٤٥
أبو عبدالله المحاسبي البصري ٤٥
الحسن البصري ٤٥
الخليل بن أحمد الفراهيدي ٤٦
أبو زيد الأنصاري اللغوي ٤٨
أبو عمرو أحد القراء السبعة المشهورين ٤٩
أبو عثمان عمرو بن بحر البصري المعروف بالجاحظ ٥١
أبو محمد القاسم بن علي الحريري البصري «صاحب المقامات» ٥٣

أبو بكر محمد بن سيرين المعبر ٥٥
القاضي أبو بكر بن محمد بن الطيب المعروف بـ«الباقلاني البصري» ٥٦
أبو الحسن محمد بن الطيب البصري المتكلم ٥٦
محمد بن عبيدالله العتبي الشاعر البصري المشهور ٥٧
أبو فيد مؤرج السدوسي النحوي البصري ٥٨
أبو القاسم نصر بن أحمد البصري، الشاعر المشهور «المعروف
بالخبز أرزى» ٥٨
أبو الحسين النضر بن شميل النحوى البصري ٦٠
أبو حذيفة واصل بن عطاء المعتزلي ٦١
يحي بن يعمر النحوي البصري ٦٢
أبو بكر يموت بن المزرع ٦٢
أبو علي الحسين الشاعر البصري، «المعروف بالخليع» ٦٣
خراب البصرة في زمن تسلط أعراب المنتفق ٦٧
عمران البصرة بفعل حكام «العلية العثمانية» ٧٩
«جدول بأسماء الحكام العثمانيين الذين حكموا البصرة
من سنة ١٢٧٧-١٣٢٣هـ، ١٨٦٠-١٩٠٥-١٩٠٦» ٨٤
عادات وتقاليد أهل البصرة وقراها ٩١
الزواج ٩٣
الأعياد ٩٤
الأمن ٩٥
العزاء والمآتم ٩٦
الفصل الثالث: جغرافية البصرة الطبيعية والمدنية ومتعلقاتها ومتفرعاتها ٩٩
محلات البصرة في كلا القسمين منها ١٠١
أسماء أنهار البصرة وقراها ومقاطعاتها ١٠٢
السكان ١٠٣
التضاريس الطبيعية ١٠٣

شط العرب ١٠٤
الهواء ١٠٦
البلم (القارب) ١٠٧
قنصليات الدول الأجنبية في البصرة ١٠٨
وكلاء شركات السفن البخارية، والتجارية الداخلية، والأجنبية ١٠٨
المراقد والقبور لمشاهير الإسلام الموجودة في البصرة ١١١
قرى البصرة التي لها مدير تابع للحكومة المحلية ١١٣
الفاو ١١٣
أبو الخصيب ١١٣
شط العرب - الهارثة ١١٤
الزبير ١١٤
القرنة ١١٥
في منافع النخل الكثيرة واستفادة أهل البصرة منها ١١٥
تربية النخل وخصائصه ١١٧
أنواع التمور ١١٩
الزراعة ١٢١
التجارة ١٢٣
المدن الداخلة في نطاق ولاية البصرة ١٢٧
المنتفق ١٢٧
الناصرية ١٢٨
سوق الشيوخ ١٢٩
الشطرة ١٣٠
الحي ١٣٠
«العمارة» ١٣١
نجد ١٣٢
الإحساء ١٣٣

القطيف ١٣٤
قطر ١٣٥
الآثار القديمة ١٣٥
بني شافع ١٣٥
جواث ١٣٥
مدينة القرمطي ١٣٥
القلعة الخربة ١٣٦
البوم ١٣٦
رقيمة ١٣٦
التلغراف ١٣٦
البريد ١٣٧
وسائل نقل البريد ١٣٧
عشائر المنتفق عامة ١٣٩
العشائر التابعة للمنتفق ١٣٩
عشائر بني خيكان ١٤١
العشائر الساكنة في المجرة، والمقيمة على شاطئ نهر الفرات ١٤٢
العشائر التي تقيم حول القرنة ١٤٢
عشائر سوق الشيوخ وملحقاتها ١٤٣
قبائل شطرة المنتفق ١٤٤
عشائر الناصرية ونواحيها ١٤٥
عشائر الحي ونواحيها ١٤٦
عشائر العمارة ١٤٧
مقاطعات بني لام المعروفة ١٤٧
فروع بني لام ١٤٨
عشيرة ألبو محمد ١٤٨
المقاطعات المشهورة تحت حكم ألبو محمد ١٤٩

قبائل وفروع ألبو محمد ١٥٠
عشائر تابعة لألبو محمد ١٥٠
شيوخ ألبو محمد المشهورون ١٥١
عشائر الاحساء ١٥٢
عشائر بصرية متفرقة ١٥٣
قبائل بدوية معروفة منتشرة في الجهات الغربية من صحراء البصرة ١٥٤
الفصل الرابع : الإحصاء ١٥٧
حركة السفن ١٥٨
الصادرات والواردات ١٥٩




ISBN 978-9953-563-12-1
9 789953 563121

